حول نخب الحركة الوطنية

1830 - 1954

أ. جمال بلفردي

قسم التاريخ المركز الجامعي بالوادي

مقدمة

بقدر ما أفرزت نظرية النخب الغربية خاصة العديد من التحليلات والإسقاطات في دراساتها على المجتمعات الغربية منها والشرقية، وبقدر ما حاولت هذه المساهمة إسقاط ما أتيح من التعريفات التي جاءت بها النظريات السابقة على نخب الحركة الوطنية الجزائرية إبان الحقبة الاستدمارية بين 1830 - 1954.

إن إثارة جدلية إثارة وجود نخبة وطنية عند مؤرخي الحركة الوطنية يعد مسلكا وعرا، ومثيرا للخلاف والنقاش من جهة، ومن جهة يفتح آفاقا للبحث، واستكشاف مكامن ظهور طرائق للنخب الوطنية أفرزتها صدمة الاحتلال الفرنسي، وهمجية الصراع الحضاري مع الغاز الجديد.

إن التطرق في تشكل النخب الجزائرية في بداياتها، ومن منطلق الظروف التي أوجدتها، ومرحلة الخضرمة (عثماني-فرنسي) والانتقال القسري من نظام حكم إلى سلطة استدمارية - استعمارية يجعل إسقاط التعريفات الغربية (المبحث الأول من المقال) بالشكل الاصطلاحي الوارد على النخبة الجزائرية يبقى نسبيا.

ومن هذا المنطلق أليس من دواعي الاستقصاء والمقاربة التساؤل عن :

- هل هيأت الصدمة الحضارية "احتلال التقدم للتخلف حسب تعبير مؤرخ الحركة الوطنية أبو القاسم سعد الله" الظرف لظهور النخبة الحضارية كأعيان وشيوخ تطالب بالحد الأدنى لاحترام الحريات والمعتقدات ؟

- وما مبررات ظهور الزعامات الدينية في الأرياف ؟ ولماذا تعددت النخب الوطنية وجاءت في أنساق وطرائق شكلت فسيفساء خاصة تداخلت حينا وتضادت أحيانا كثيرة في المنطلقات والأسس والمطالب والبرامج في ظل تجليات عهد أمة حاولت منذ البدء المزج بين مطرقة الحرب بمنظور صدامي وسندان التقدم بزاوية التحضر.

المبحث الأول

مفهوم النخبة "الصفوة" وأنساقها

1- 1 - التطور التاريخي لمفهوم النخبة

لا تعنى هذه الدراسة في عرض المفاهيم الكثيرة الشيوع عن النخبة، ولا الاسترسال فيها، وقبل الولوج في موضوع النخبة الثورية الجزائرية حري بنا إعطاء صورة جلية لمفهوم النخبة التي يعتقد أنها المفاهيم الأساسية في الدراسات الاجتماعية والسياسية الحديثة.

أفرزت الدراسات التي تعاطت طبيعة المجتمع الإنساني، وطرحت استفسارات وفرضيات حول طبيعة الجماعة الحاكمة وعلاقته بالجماهير، ونسق النظام السائد ومدى قدرته على التعبير عن الإرادة الجمعية. وتم إطلاق مفاهيم عدة للدلالة على مجموعات متميزة من المجتمع، تمثل النخبة بالمفهوم المتداول والشائع "كالوجهاء" "الأعيان" "العقلاء" "الأشراف" "الأجواد"، "القياد"، قادة الجيوش"، "الأسر الدينية" كمسميات للحكام والولاة والعلماء مشكلة في مجموعها الجماعة القائدة، أو "الخاصة" التي تحكم المجتمع "العامة" وأصبحت مرادفة لكلمة "النخبة" [1].

وشهد المفهوم تداولا شائعا في الأدبيات الغربية خاصة في القرن 19 [2] وتجدر الإشارة بنا أنه يمكن الاعتراف من التاريخ الإسلامي وعبر مراحله وعصوره كمماليك وإمارات ودول لم تشذ عن قاعدة المجتمع فالأمير والسلطان، والحاشية "الوزراء"، "الكتاب"، "قادة الجيوش"، يمثلون صفوة المجتمع يماثل- ما سيأتي - تبيانه من تفسيرات وتوجيهات النخبة عند رواد علم الاجتماعي السياسي الغربيين.

يعرف معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية : النخبة "بأنها أقلية ذات نفوذ تسود جماعة أكبر... ، ويمثل تكوين هذه الصفوة عملية

اختيار وتوزيع المراكز بين الأفراد دون الانطواء على الاعتراف القانوني في بعض الحالات... ، ويتضمن الاعتراف التلقائي بالنخبة تمتعها بصفات مرغوب فيها في رأي الجماعة، وتسمى عملية الانتقال "صعود" الأشخاص من مراكز اجتماعية صغرى إلى المراكز الأعلى منها بدورة الصفوة. [3]

إن الغرض من استعراض ما تقدم هو بلورة مفهوم شامل وعام للنخبة بأنها مجموع الأشخاص الذين يمتلكون مستويات عليا من رؤوس الأموال على اختلاف أنواعها سواء على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو العسكري، وما شابه ذلك، وهم بالأحرى الأشخاص غير العاديين في مجتمعاتهم يؤهلهم هذا الامتياز إلى الدخول في الحياة الاجتماعية لإدارة المهام المنوطة بهم دون سواهم [4].

إن اختلاف منطلقات علماء الاجتماع والسياسة شكل عنصر الاتوافق في تحديد وضع إطار دقيق لمفهوم النخبة، بل ويصل الأمر إلى حد التضارب في مواقف الرواد من حتمية وجودها، واستمرارها كأسلوب للحكم من جهة، بينما يذهب البعض إلى أن حتمية وجودها تفرضه الاختلافات والتباينات الاجتماعية التي تستدعي وجوب وجود نخبة منسقة قائدة.

ولمحاولة فهم طبيعة النخبة وأنواعها عند باريتو وموسكا، وميلزرايت كباحثين مهتمين بقضايا النخب وعلاقاتها بالسياسة - يتوجب تلميحا - التطرق إلى مفهوم الطبقة الحاكمة "عند كارل ماركس، وذلك لأن غالبية النظريات الغربية الحديثة مثلت استجابة حينا وردود" أفعال أحيانا أخرى لنظرية ماركس حول المجتمع الإنساني المبني أساسا - حسب نظريته - على طبقتين :

- **الأولى :** حاكمة متحكمة في وسائل الإنتاج مسيطرة على المجالات السياسية، العسكرية، الاقتصادية، الاجتماعية

- **الثانية :** محكومة لا تملك سوى قوة عملها، وهناك صراع أبدي

بين الطبقتين، كما استرسل ماركس في إبراز مكامن الاهتمام لديه بالطبقة الحاكمة في المجتمع الرأسمالي، وأن وجودها مرتبط بوجود التقسيمات الطبقية التابعة من النظام العام للرأسمال الآيل إلى الزوال الحتمي نظرا لقوانين الطبيعة : كفائض القيمة، رؤوس الأموال، الإفقار المطلق، ويدعم في الوقت ذاته مواقع النظام البرولتياري. (5)

إن إعادة البناء للرأسمالية يؤدي إلى ظهور الشيوعية ومجتمعها الخالي من الطبقية رغم تحكم الطبقة الحاكمة لوسائل الإنتاج، وفي رحمها تتشكل النظم الاجتماعية والسياسية، والثقافية بطابع يتلاءم وأوضاع المجتمع الجديد.

ويبدو هذا التفسير نقطة المرتكز والمحور في ظهور فكر غربي سياسي -اجتماعي خلال القرن 19، وجاءت كل المحاولات النظرية المعالجة لفكرة النخب بمثابة النقد لنظرية ماركس حينا، وتأصيلا لمفهوم النخبة سعيا لإرساء قواعد نظرية سوسيو - سياسية ذات طابع علمي خالص خال من الاعتبارات الأخلاقية، ونافية للتأثيرات الأيديولوجية.

فإلى أي مدى كانت مساهمات رواد علم الاجتماع السياسي الغربي ناجعة في بلورة مفهوم النخبة في نهاية القرن 19 وبداية القرن العشرين ؟ وما خصائص المفهوم وميزاته عند كل من بارينو، وموسكا، وميلز ؟

1- 2- مفهوم النخبة لدى رواد علم الاجتماع السياسي الغربي

نكتفي في هذه النقطة بطرح فكرة النخبة عند كل من العالمين الاجتماعيين الإيطاليين فلفريدو باريتو، وجيتانو موسكا، والأمريكي الليبرالي رايت ميلز للإجماع الحاصل لدى غالبية الباحثين في علم

الاجتماع السياسي أن دورهم كان عظيما في تحديد مصطلح الصفوات من جهة، ومن جهة أخرى إعطاء بعد استراتيجي – علمي في ربط جسر العلاقة بين المصطلح "النخبة" والمجالات السيوسيو- سياسية، كما كان لهم دور في إبراز أنماط جديدة في حقل العلوم الاجتماعية : كعلم اجتماع القوة وعلم الاجتماع الفكري، وعلم الاج النخبة، وعلم الاج السلطة، مما أعطى لهم صفة المرجعية التاريخية لعلم الاجتماع السياسي على العموم، وعلم النخبة بالأخص.

1- 2 - 1 فلفريدو باريتو vilfredo parito **"1848 - 1923"**

ينطلق العالم الاجتماعي الإيطالي من التفسير السيوكولوجي، وخاصية التباين الاجتماعي وصفات الذكاء، المهارة، القدرة... ، في إبراز الخصائص، ومميزات نظريته الملخصة في كتابه : "العقل والمجتمع" الصادر سنة 1968. وفي سياق توضيحه لمفهوم النخبة يقدر :

"أن الصفوة هي جميع الأشخاص الذين يظهرون نوعا من الاستعدادات العالمية في ميدانهم "التفوق، القوة، الدهاء"... ، أو مواهب طبيعية تحقق نجاحا لباقي أفراد المجتمع". [6]

ولا يعد هذا الطرح ذا معنى إذا لم تكن هناك الألفة الاجتماعية. فكلما زادت تلك الألفة قوة زاد الامتثال الاجتماعي - السياسي بين القمة والقاعدة مبرزا في الوقت نفسه نوعين من النخبة : -فئة النخبة التي تمارس الحكم بطريقة مباشرة وغير مباشرة، وفئة اللانخبة، وهم بقية المجتمع ولا يمثلون أي قيمة اجتماعية داخل البنية السياسية، الأمر الذي يصل إلى عدم استفسارها عن كيفية وصول النخبة "الفئة الأولى" إلى الحكم، ولا تستطيع تحديد مصالحها وأهدافها إلا في الإطار الذي تحدده الفئة الأولى. [7]

ومثل هذه النظرية يقودنا مباشرة إلى تحليل بارتيو، حيث لم يكتف بتقديم وصف علمي لبناء النخب بل انتقل إلى معالجة التغيير الذي يطرأ

على النخبة دون "دورة النخبة " سواء بين أفراد النخبة الواحدة، أو زوال النخبة القديمة وإحلال محلها نخبة جديدة مكانها، وهذا ما ينعكس على التوازن داخل النسق الاجتماعي، بعد ما يتم التغير الاجتماعي المنشود بخصائصه السيكولوجية للنخبة، مما ينعكس على الخصائص السيكولوجية للمستويات الأخرى للمجتمع بحكم امتثالها وتأثرها بالنخبة الحاكمة. [8]

1- 2 - 2 جيتانو موسكا Gaetano Mosca "1858-1941"

صاحب كتاب الطبقة الحاكمة أو مبادئ في العلوم السياسية الصادر سنة 1920، يتفق الغالبية من علماء الاجتماع أن موسكا من العلماء الذين أعطو دفعا وعمقا لمفهوم النخبة، ويمكننا فهم ذلك من خلال دفاعه عن الحكم النيابي "التشريعي" الذي كان سائدا في القارة الأوربية خلال ق 19.

وفي هذا الصدد ينطلق موسكا من مقارنته التاريخية للمجتمعات الإنسانية منذ فجر التاريخ، والتي انقسمت إلى طبقتين :

- طبقة حاكمة قليلة العدد
- طبقة محكومة كثيرة العدد[9]

مؤكدا أن ثمة شيئا واضحا. . . ، وفي كل المجتمعات تظهر طبقتان من الناس، طبقة تحكم، وطبقة محكومة، الأولى أقل عددا تحتكر السلطة وتتمتع بكامل الصلاحيات.

إن طريقة تكوين تلك النخبة "المسيطرة" وطبيعة بنائها عند موسكا من حيث العلاقات : القرابة، أو المصلحة، أو اتفاقية تشكل في المجموع عامل الوحدة في التفكير والالتحام، وطالما استمرت هذه الخصائص معناه تحقيق الدور التاريخي المنوط بها في عملية التغيير الاجتماعي والثقافي.

وما يميز النخبة عنده وجود "وحدة مركزة" على رأس النخبة وبداخلها، تضمن لها القوة والقدرة والكفاءة مما يعطي للتاريخ الإنساني

تفسيرا كاملا بتوفر بعض من الخصائص : التدرجية، نواة مسيرة "النخبة"، ووحدة قيادية داخل النواة كل هذه يغذي التاريخ ويجعله مفعما بالحيوية والنشاط أثناء تأدية النخبة لمهامها كسلطة حاكمة، ناشرة لأفكارها ومحافظة على مصالحها في الحكم عاملة على ضمان ديمومته واستمراريته. (10)

إن الاسترسال في طرح ما قدمه موسكا، (11) وظروف تطورها يظهر علامة بارزة في تأكيد المؤشر الأساسي الذي تقوم عليه السلطة القائمة على القدرات التنظيمية والبراعة العالمية في تقدير مصادر قوة المجتمع بمطالبته بسيطرة الطبقة الوسطى على النظام السياسي المراد قيامه.

1- 2- 3 - شارل رايت ميلز Charles Wright Mills **"1916 - 1962" :**

عالم اجتماع أمريكي وباحث راديكالي يدين إلى التركيزللسلطة الصناعية العسكرية في الو. م. أ، اختار عنوان "نخبة السلطة" الصادرة سنة 1956 لدراسته لنخبة القوة في الو. م. أ، وهو وجه الشبه بينه وبين موسكا، غير أنه يرى أن مفهوم النخبة أكثر تعقيدا وتنوعا ومميزا أنها حقيقة وليس تصورا.

ويعالج الباحث النخبة من باب خاصية القوة ففي كتابه السالف الذكر يطرح فكرة القوة على أنها هي : "النخبة الحاكمة كتعبير مشحون شحنا رديئا فالطبقة اصطلاح اقتصادي، والحكم اصطلاح سياسي" (12)

إن التمعن في هذا التعريف يوحي بالقرب من تحديد النخبة عند باريتو مركزا على أنه : "يمكننا أن نعرف بأنها وسائل القوة كالأشخاص الذين يحتلون مراكز القيادة. : كالقادة العسكريين، رؤساء الشركات، القادة السياسيين".

كما أن "النخبة هي تلك الجماعة التي تحتكر مواقع قيادية في الإستراتيجية العامة منتجة للبناء المؤسساتي في الدولة" (13)

ويمكن استشفاف خصائص النخبة عند رايت ميلز :

- أكثرها تعقيدا مما أفرز لديه خلط بين الظاهرتين : الطبقة الاجتماعية والنخبة الحاكمة
- أن النخبة ذات بناء نظامي مؤسساتي كوحدة لقوة تحكم المجتمع.
- خصوصية التشابه الفكري والأصول المشتركة للجماعة
- علاقة تعاملية : القرابة والصداقة. (14)

ويصل ميلز إلى إمكانية قيام مجتمع حديث تتشكل بداخله نخبة الجماعات الصغيرة ذات قوة ونفوذ تستطيع التأثير في صنع القرارات داخل السياسة العامة لإدارات والدول عبر تشكل تسلسلي نظامي كقوة للسلطة الحاكمة.

1- 3 - الأنماط العامة للنخب في الدول النامية :

أظهرت الدراسات الجديدة للنخبة استبدال هذا المصطلح بمفهوم النخب "الصفوات" على أساس أن المجتمع الحديث يتسم بالتباين وتنوع الأنشطة مما يعدد النخب، واختلاف وتباين الأدوار المحددة لها تلقائيا أو قانونيا.

وعرض نادل تصنيفا ميز فيه بين أنواع النخب : نخب اجتماعية، ونخب متخصصة ونخب حاكمة، فالأولى تأثيرها غير مباشر، ومستوح من بعض المعايير والقيم، وقوتها تكمن في اقتداء الآخرين بها، والثانية تضم في العادة الجماعات التي تمارس مهنا فنية عالية، أو نشاطات نقابية مما يؤهلها لممارسة بعض النفوذ.

أما النخبة الحاكمة فإنهم القادة السياسيون بالوضع القانوني الذي يسمح لهم بممارسة السلطة وإدارة شؤون المجتمع. (15)

وانطلاقا من مفهوم النخب والتوجهات العامة لها التي ارتكزت على قاعدة السلطة والتأثير فيها، والتي تتوافق والتصنيف العلمي

"قانون التنظيم" الذي استخدمه ماركس فيبر لتمييز بين ثلاث سلطات ذات تـأثير هـام : السـلطة التقليديـة، والسـلطة المنطقيـة الشـرعية، والسلطة الكارزيمية

كمـا تمكـن البـاحثون مـن إقـرار أنـواع عـدة مـن النخـب نـورد تصنيفين لجي روشيه وبوتو مور. [16]

تصنيف جي روشيه	تصنيف بوتومور
- النخب التقليدية - النخب التكنوقراطية - النخب المالكة - النخب الكاريزماتية - النخب الأيديولوجية - النخب الرمزية	- النخـب ذات العلاقـة بالجماعـة الحاكمـة [مـلاك كبـار، أو تجـار كبار] - الطبقةالوسـطى [كبـارالموظفين وجماعة ضباط الجيش] - المثقفون الثوريون. - الإداريـون الإسـتعماريون (انتهـى دورهم بعد الإستقلال) - القادة الوطنيون.

إن نظـرة سـريعة لمضـمون الجـدول يقودنـا إلى الوصـول إلى النتائج الآتية :

- تباينت النخب من الأصول الاجتماعية، والبيئة الثقافية
- تمايزت النخب باختلاف نوع الأنظمة ومحيط المجتمع، فالنخب الحاكمة في المعسكر الشرقي ومن سار في فلكه ليست نفسها في المعسكر الغربي الليبرالي.
- يقدم تصنيف جي روشيه نماذج التصنيفات في الدول الغربية الليبرالية "فرنسا بالأخص" عكس ما قدمه بوتومور من تصنيف النخب في المجتمعات الخاصة بالبلدان النامية والحديثة الاستقلال.

ودون إبراز السمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للدول العالم الثالث - ما دام الإطار العام النظري لهذه الدراسة بدور حوله - يمكن أن نخلص إلا أنه بالإمكان القبول أن هناك خصائص هامة مميزة للنخب دول العالم الثالث ومنها الجزائر وتنتهي بموقفها من عمليات التنمية والتحديث.

غير أن بعض الدارسين يميلون إلى عقد مقارنة بين الجماعات النخبة القديمة والجديدة في الدول النامية استنادا إلى موقفها من التحولات السياسية، والتغيرات الاجتماعية والإصلاحات الاقتصادية والتنمية الثقافية.

ويتفق علماء الاجتماع السياسي على وجود مجموعة من النخب شائعة في معظم الدول النامية، وقوة تحكمها في السلطة ومدى تأثيرها في رسم السياسات العامة لتلك الدول، مع الإشارة إلى أهمها في اطار موضوع الدراسة :

1- النخبة العسكرية : أولت الدراسات الحديثة اهتماما بالغا للنخبة العسكرية ودورها في توجيه الحياة السياسية بصفة خاصة، وتشكيل تاريخ المجتمعات، وتأسيس الدول وقيامها، وتحولها من القوة الكامنة ذات سلطة رسمية إلى قوة فعلية تساهم في رسم السياسات العامة للدول.

وكشف بوتومور "أنه في المجتمعات حديثة الاستقلال والتي لا تزال فيها النظم السياسية في طور التشكل، والسلطة السياسية غير مستقرة، تكون للنخبة العسكرية الحاكمة فرصة القيام بدور مهم في تحديد مستقبل هذه المجتمعات" [17]

إن انتشار الظاهرة العسكرية في البلدان ذات الاستقلال الحديث شكل نوعا من العلاقة بين الدور الإمتيازي للجيش والخصائص العامة للبلدان النامية، فعوامل عديدة ساهمت بشكل أو بآخر في تدخل الجيش

في السياسة كالتنشئة السياسية والاجتماعية للجيش، والقيم السائدة بين أفراد هذا الجيش، وأصولهم الاجتماعية وفضلا عن علاقتهم بالطبقة السياسية، وتقديم نفسها أنها القناة الرئيسية داخل الحراك الاجتماعي في المجتمع.

كما اتخذ التدخل العسكري في المجال السياسي نموذج الثورات، والانقلابات البيضاء والحمراء، قادتها ضباط صغار بالتعاون مع الجماعات الشعبية ضد النظام القديم القائم.

ولقد تعددت خصائص تدخل النخب العسكرية في السلطة السياسية الحاكمة سواء كحكم بين المؤسسات القائمة في الحفاظ على النظام السياسي القائم، وضمان استمراره أو نمط الحاكم الذي يرفض تحييد العسكريين مبررين ذالك إلى المهارات المكتسبة والتي تجمع بين القدرة الإدارية، والمواقف البطولية، والتاريخ النقي المنطلق من الأصول الاجتماعية، مع قوة السلاح المدعم لأفعاله، وميزة التنزه والزهد عن الفساد الذي تتردى فيه البرجوازية والبيروقراطية حسب زعمها [18]

إن ما يطعم توجهات وأفعال النخب العسكرية في دول العالم الثالث هو ما توصلت إليه إحدى الدراسات عن عسكرة الأنظمة السياسية في إفريقيا. [19]

"إلا أن التدخل العسكري في السلطة ما هو إلا انعكاس للأزمة البنائية للنظم السياسية الإفريقية. . . ، فالمجالات والطوابع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كلها مقاربات ودواعي لها مبرراتها للتدخل العسكري في أمور السلطة والتطلع للتحكم في زمامها".

1 - النخبة الكارزمية [20] **"الزعماء"** : تجمع الأدبيات الاجتماعية أن هذا المفهوم مرتبط باهتمام ماكس فيبر بها، فالصفوة الكارزمية تتميز ببعض الصفات الروحية الخارقة للعادة، ولا علاقة لها بالمكانة الاجتماعية للشخص في السلم الاجتماعي [21]

إن توظيف مفهوم النخبة الكارزما يرجع بنا لإلى عقود الاستعمار أين راجت وبصورة تكاد تكون حصرية في مجتمعات العالم الثالث التي ذاقت نيران وويلات الإستعمار، وكانت تواقة إلى شخصيات عظيمة تعبر عن تطلعاتها وآمالها كزعماء وقيادات الثورات الشعبية وفي فترة الحركة الوطنية الجزائرية مثلا، بأنهم منقذون ومنذرون لحياتهم من أجل شعوبهم.

ويرى خليل أحمد خليل أن دور الزعيم يتحدد بواسطة : "محصلة من التفاعلات الناتجة عن سلسلة الظروف الاجتماعية والثقافية والحضارية في البلد الذي يظهر فيه وبأساليب مختلفة :

- فيظهر الزعيم نتيجة انقلاب أو ثورة شعبية.
- قد تفرضه تدخلات أجنبية، وتمهد له الطريق لفرض حكمه ونظامه. (22)

1- النخبة المثقفة : والتي يعبر عنها بيير بورديو بالسلطة الرمزية : "فمن حيث هي قدرة على تكوين المعطي عن طريق العبارات، والقدرة على الإبانة والإقناع وإقرار رؤية عن العالم أو تحويلها، ومن ثمة قدرة على تحويل التأثير في العالم. . . ، وتحدد بنيتها بفضل علاقة معينة تربط من يمارس السلطة ممن يخضع لها، وهي سلطة تابعة، وشكل من أشكال السلطات الأخرى". (23)

والنخب المثقفة هي النخبة الواعية والمشاركة طوعيا في العمل الوطني لبناء المجتمع ولا تقف منعزلة، بل عازمة على المشاركة الطوعية مندفعة إليها اندفاعا ذاتيا ويراها ميشلز أنها نتاج المجتمع الصناعي، وأطلق عليها اسم البيروقراطية الرشيدة في الدولة والحزب والحكومة. (24)

وتظم العلماء والفلاسفة والمفكرين والمتخصصين في النظريات الاجتماعية والإنسانية والسياسية، وفي المجموع تعرف في بعض

الأدبيات بالأنتلجانسيا التي قادت ثورات القرنين 19 و20 بالدول المستعمرة ثم تمكنت من السيطرة على السلطة بعد الاستقلال. [25]

وبناء على ما تقدم تتمايز مواقف النخبة المثقفة إزاء القهر الأيديولوجي الممارس من طرف السلطة، فمنهم النمط المساير والمقاوم والمتمرد والمنسحب.

أما من حيث الوضع الطبقي فيمكن تصنيف البرجوازية المتوسطة "كمدراء في الصناعات والبنوك" والصحافة والإعلام، رجال القضاء، الأحزاب، النواب. غير أن الإشارة التي نود التلميح إليها هو عدم تجانس هذه النخبة فهم يتوزعون على مواقع اجتماعية، ويتبنون مواقف غاية في التباين، ففي المجتمعات الغربية الديمقراطية يبرز دور هذه النخبة وتعطي وزنا في ضبط المعطيات العلمية عند صناعة القرارات المصيرية.

يقابله الخسوف الجزئي أو الكلي في بلدان العالم الثالث ذات الأنظمة العسكرية التي ترى في المثقف الشر السياسي الواجب استئصاله من الخريطة السلطة الحاكمة. [26]

1 - النخبة التكنوقراطية : عمل الإداريون السامون على تأسيس نظام إداري وقضائي سيتم بالكفاءة في قطاعات اقتصادية واجتماعية كالتعليم والبنوك والتجارة وتندرج هذه النخبة في إطار بناء شرعي أو بيروقراطي حيث يتم تعيينها أو انتخابها عبر صناديق الاقتراع.

إن الميزة الخاصة بها هو تشعبها على نطاق المجالات الحيوية للهيئات التنفيذية والتشريعية والقضائية، وهي نخبة ذات تأثير الطابع الخاص بأعمال المكاتب.

كما يمكنها أن تؤسس لنظام سياسي جديد، فبيرنهام العالم الاجتماعي يقر بأنه قد يكون لهذه الفئة المرموقة في المجتمع المعاصر طبقة حاكمة جديدة تمارس سيادة سياسية وإدارية واقتصادية في

إطار تشكيل نسق اجتماعي - جماعي مفرقا في الوقت نفسه بين نوعان منها : العلماء والمتخصصين في التكنولوجيا والإنتاج، والمديرين العامين للشركات. [27]

ويمكن الاكتفاء بهذه الأصناف من النخب لما لها من اتصال وثيق بموضوع الدراسة كإطار عملي للفصول اللاحقة، وكنخب عملت على حمل مشعل هموم العالم الثالث وطموحاته مجمعاته وفئاته العريضة.

وفي إطار تصنيف النخب العربية بصفة مجملة طرحت ندوة مركز دراسات الوحدة العربية الخاصة بالنظم السياسية العربية قضايا الاستمرار والتغير ثلاث أنواع من النخب :

1- النخب التقليدية - التكيفية : وتندرج ضمن كبار ملاك الأراضي والأثرياء، التجار وزعماء القبائل ووجه القرابة بينها العامل الديني الذي يتخذ كأساس شرعيتها.

2-النخب الإصلاحية - التحديثية : وتعبر عنها الطبقة الوسطى من ملاك الأراضي والمشتغلين في المستويات الصناعية والتجارية فضلا عن المنتمين للجيش والجهاز الإداري، وتتصف بميزة الانتخاب والوصول الديمقراطي السلمي إلى الحكم.

3- النخب الثورية - التعبوية : وهي نتاج لأبناء الطبقة الوسطى والدنيا من صغار الموظفين والعسكريين، وتتبنى رؤية شاملة لتغيير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. [28]

إنها إجمالا مختلف المفاهيم وتوجيهات النخب التي أقرتها النظريات وبحوث علم الاجتماع السياسي عامة، وممارسات الأنظمة السياسة على اختلاف مشار بها بصفة خاصة.

ألا يمكن المسموح به طرح السؤال الآتي :

ما هي المشارب الاجتماعية الثقافية لتيارات الحركة الوطنية الجزائرية ؟ وما أسس المنطلقات السياسية لها ؟ وما تجليات السلطة والحكم عند النخبة الثورية الجزائرية من سنوات 1962 - 1978 على ضوء إسقاطات الإطار النظري للبحث ؟

المبحث الثاني

طرائق النخب الوطنية أثناء فترة الحركة الوطنية

1830 – 1954

2- 1 - صدمة الاحتلال وبداية بروز النخب الوطنية 1830 - 1954.

إن إثارة جدلية التنافس الاستعماري الانجليزي- الفرنسي عند مختلف مؤرخي الحركة الوطنية عن الأسباب التي أدت إلى إصرار وعزم حكومة شارل العاشر لتوجيه حملة عسكرية ضد الداي حسين وتأديبه ردا على إهانة القنصل الفرنسي قضية "إهانة الراية".

أما أن البعد "الفرنسي - الفرنسي" لمسألة الجزائر، وحلم الملك إحياء الملكية المطلقة، وسياسته اتجاه الرأي العام الفرنسي، والطبقة السياسية الفرنسية هما البعدان في توجيه حملته العسكرية إثر مصادفته يوم 7 فيفري 1830 على الحملة وتعدد جيشها وتحضيراتها.

وفي 14 جوان 1830 على الساعة الثالثة بدأ إنزال الجيش الحملة "35ألف جندي" على ساحل سيدي فرج بقيادة دي بورمون الذي عينه الملك في 7 فيفري 1830 قائدا عاما للحملة والأميرال دوبيري قائدا للأسطول [29].

تدون الأدبيات التاريخية للحملة أن الداي حسين باشا كان على علم وتفاصيل الحملة، ولم يكن يعلم بمكان نزولها، وكان اعتقاده أن لا تتعدى البحر تشبيها بالحملات الأوربية السابقة، كما كان يعتقد أن فترة التفاوض مازالت قائمة مع الفرنسيين الذين بدءوا يتقدمون إلى المدينة وقصر الداي [30].

إن التساؤل المثير هو مدى استعدادات الجزائرية للمواجهة ؟ ورغم معرفة الداي ووزرائه لمخطط الإنزال.

لعب ميزان القوى دوره في تحديد المنتصر وإقرار منطق الاحتلال الفعلي فلم يكن يتجاوز عدد أفراد الإنكشارية 6000 جندي [31] يشكلون الجيش النظامي للداي عشية معركة أسطا ولي يوم 19جوان 1830 التي انفلت فيها الوضع والموقف من بين أيدي إبراهيم آغا،

وتمكن الفرنسيون من السيطرة على المعسكر والزحف نحو مدينة الجزائر [32] شكلت هزيمة أسطاولي منعرجا حاسما في خلع إبراهيم الآغا، وتعويضه بباي التيطري مصطفى بومزراق، وقام بتنظيم هجومات مضادة لمعركة سيدي خالف يوم 14 جوان وهضبة فونتين يوم 28 جوان غير أن تقدم ري بورمون فشل كل محاولات المقاومة وواصل سيره إلى حصن الإمبراطور للإستيلاء عليه.

وفي يوم 4 جويلية 1830 تم تفجير الحصن رمز السيادة وكيان الدولة العثمانية بالجزائر، وقيام سيادة الإمتلاك الفرنسي كسلطة استعمارية على الأقل بمدينة الجزائر مع تقدم مبعوث الداي الباش كاتب سيد مصطفى الأمين العام للحكومة الذي قاد المفاوضات والاتفاقيات السرية. [33]

ومع استيلاء الفرنسين على قلعة مولاي حسن جمع الباشا وأمناء والطوائف وأعيان المدينة، وشرح لهم الوضع ثم طرح السؤال - النصيحة : المقاومة أم الاستسلام وبعد التفاوض المبعوث مصطفى، ومراجعة الباشا وقعت معاهدة الاستسلام ببنودها الخمسة يوم 5 جويلية 1830، وبمقتضاها رحل الداي وحاشيته يوم 10 جويلية من نفس السنة بعدما ضمن حريته على ضوء بنود المعاهدة.

إن الأسئلة التي زادت إلحاحا وبحثا مدى سيرورة تاريخ مقاومة الجزائريين بزوال سلطة اسلامية عثمانية، ومجيء أخرى استعمارية على انقاضها ؟

أم أن ممارسات السلطة الجديدة ولدت الشعور برد فعل عكسي ؟

وما مدى انعكاسات المحاكاة بين المستعمر والمستعمَر ؟ أم مدلول الاحتلال هو ما ذهب إليه الأستاذ أبو القاسم سعد الله بأن ما وقع في الجزائر سنة 1830 في الجزائر ليس احتلالا لجزائر هكذا

بل هو احتلال العصر الحديث للعصر الوسيط أو لنقول احتلال التقدم للتخلف ؟ ؟ [34]

وما دور صدمة الغزو في تكريس منطق الرد الفعلي لفعل الغزو الفرنسي، وفي ظهور إن أجزنا الاستعمال ولو مجازا [35] النخب الحضرية بمدينة الجزائر كبداية لبلورة مفهوم النخب الوطنية الجزائرية.

إن التطرق في تشكل النخب الجزائرية في بداياتها آليا، ومن منطلق الظروف التي أوجدتها، ومرحلة الخضرمة (عثماني - فرنسي) والانتقال القسري من نظام حكم إلى سلطة استعمارية جديدة يجعل إسقاط التعريفات الغربية (رواد علم الاجتماع السياسي) بالشكل الاصطلاحي المقترح على النخبة الجزائرية يبقى نسبيا.

لم تكن الظروف التي أعقبت الحملة العسكرية، والغزو الهدمي الفرنسي، واندحار وزوال الشبه الآلي للسلطة المركزية العثمانية بالجزائر، يسمح ببروز محمد علي جزائري، غير أن شروط الحتمية للحملة أفرزت تكتلا بدأ يتحرك والظهور منذ جوان 1830 مستفيدا من الوضع الجديد، وفي هذا المقام يمكننا

التحدث عن لجنة الحضر والدور الذي لعبته وأهم زعمائها.

تتحدر طبقة الحضر من أهل البلاد ومن مهاجري الأندلس، يحتلون المرتبة الثالثة سياسيا بعد الأتراك والكراغلة، وكانوا يملكون في مدينة الجزائر أملاكا ويمتهنون التجارة وضيعات واسعة في سهل متيجة، كما تقلد البعض منهم مهنة الداي كحمدان بن عثمان خوجة. [36]

وتولى بعضهم مراكز القيادة بعد استيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر مثل آغا العرب الذي شغله حمدان بوركايب، ومصطفى بن الحاج عمر بايا التيطري، ورئيسا لأول مجلس بلدي لمدينة الجزائر مثل أحمد بوضربة، وكانو يعتقدون أن الفرنسيين جاؤوا كمحررين لا

غزاة، غير أن اعتقادهم اصطدم بالواقع الجديد للتسلط الاستعماري ووجهه القبيح [37]

ولم تكن طبقة الحضر على درجة واحدة من التفاهم والطموح، وظهرت في غالب الأحيان أن اللقمة أعقد بكثير مما ملكت أيديهم وعقولهم، فتولدت فيها ثلاث تيارات سياسية خلال هذه المرحلة من تاريخ الحركة الوطنية [38]

التيار العثماني - الإسلامي وكان أصحابه يهدفون إلى بقاء على ولائهم للخلافة العثمانية وتحرير الجزائر من رقبة الاستعمار، وكان على رأسه حمدان خوجة وإبن العنابي، والتيار الوطني بزعامة أحمد بوضربة وعملت للصالح العام، واستعمال كل السبل لجمع الشمل لتحرير الوطن، والتيار الأخير والذي ارتبطت مصالحه بالمصالح الاستعمارية، والمعروف بالحزب الفرنسي ويمثله مصطفى بن الحاج عمر.

ويجدر بنا القول أن زعامات لجنة الحضر لم يكونوا مرابطين، ولم يكونوا شيوخ قبائل ولم يكونوا من بقايا الدولة المنهارة بل يحسنون المؤامرات ويفتقدون الوسائل حسب تعبير الأستاذ أبو القاسم سعد الله. [39] ولم يبقى لهم سوى الشكوى والتذمر وكتابة العرائض ومخاطبة الرأي العام باسم الإنسانية، وكان للتنافس، والطموح وضعف الإرادة والغيرية بين أفرادها حظ في إضعاف دورها الإيجابي الذي كان يمكن أن تلعبه.

1 -التيار العثماني :

1-1- حمدان بن عثمان خوجة : ولد حوالي سنة 1773 بالجزائر العاصمة على عهد الداي عثمان باشا فكان المولود والنشأة والعرق جزائري عن طريق أم جزائرية وأب عثماني، كرغلي الذات، ولم يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد، غير أن الراجح كانت في الفترة ما بين 1840 و1841

اعتمادا على الرسالة التي بعثها له الأمير عبد القادر بتاريخ 1840/12/10 دون رد من حمدان بن خوجة، وهنا التساؤل هل الرسالة وصلته حيا أم ميتا؟ ولو كان الاحتمال الأخير ما كان ليبعث له الرسالة ؟ [40]

تلقى حمدان حفظ القرآن في صغره وحضي برعاية وتعليم رفيع بحكم محيطه الاجتماعي لأن غالب أفراد أسرته كانوا يحتلون مراكز اجتماعية وسياسية هامة في البلاد بل أن الأستاذ عبد الجليل التميمي يذهب إلى حد أن :

"حمدان يعد الشخصية الجزائرية الوحيدة التي تمتعت بثقافة واطلاع واسعين جدا، وترك من الوثائق ما دونت لأحداث الجزائر أثناء فترة الاحتلال" [41].

فكان حمدان بن خوجة رجل "مثقفا يجيد اللغتين العربية والتركية، ويحسن قواعد اللغة الفرنسية والإنجليزية، سافر إلى فرنسا سنة 1820، وسافر إلى العديد من الدول الإسلامية والأوربية اطلع من خلالها على ما كان يجري في العالم من التطورات السياسية والثقافية والتحولات الاقتصادية خاصة في أوربا.

وكان بإمكانه الرحيل مع عائلته مع الداي لكنه رفض ذالك دفاعا عن الوطن والإسلام مؤكدا بقوله :

"كان بإمكاني السكوت مثلما فعل الأغلبية، لكن حبي للإسلام دفعني للعمل وتحمل المصاعب" [42]

إن الدلائل والقرائن تثبت أن هناك ازدواجية الشعور فأغلب مواقفه تشير إلى أنه ثائرا على الإدارة الفرنسية بالمقابل كان حمدان يحمل شعورا بأن الاستعمار الفرنسي ليس كله شرا شرط عدم ديمومية واستعمارية الاحتلال مؤمنا ومعتقدا أن الأخذ بالأسباب الحضارة الجديدة أمر لا مفر منه، حضارة الأمة الفرنسية المبنية على مبادئ الإخاء والمساواة والحرية، فمن الأفيد التقرب إليها والتعامل

معها رغم إدراكه بالتفوق الفرنسي في جميع الحالات بمقابل حالة التشرذم التي يحيها الجزائريون.

إذن اتخذت مقاومة حمدان بن عثمان خوجة [43] المخرج الممكن الوحيد وهي المجادلة بالتي هي الأحسن أي المقاومة السلمية- السياسية، والمطالبة والاحتجاج وتقديم العرائض وكتابة الرسائل وتقديم التقارير.

ففي عهد دي بورمون تولى عضوية المجلس البلدي للجزائر، ووسيطا بين الإدارة الاستعمارية والشعب الجزائري لأنه من الوجهاء مزدوجي اللغة، وكان يهدف من تدخلاته التقليل من الإبادة الجماعية للسكان بدافع العاطفة الوطنية، وحذر الفرنسين من الإفراط في استعمال العنف. [44]

إن سوء الحظ لازمة في عهد كلوزيل الذي قام بعزله مع بقية زملائه في مجلس الجزائر، واتهمه بالعمل لصالح عودة الحكم العثماني- الإسلامي، وصادف ذالك، وتدخله لصالح ابن العنابي، كما عزله من على

من على رأس لجنة تقدير التعويضات والأملاك الصادرة ومتوليا لشؤون المراسلة بين كلوزيل وباي التيطري مصطفى بومزراق وعلق حمدان بن عثمان خوجة على قرار العزل بأنه "بردا وسلاما". [45]

ومع تولي الدوق دور وفيغو القيادة العامة جدد نشاطه، وأعاد له منزله الذي استول عليه أحد الضباط كما استخدمه كوسيلة للتأثير على السكان ودفعهم إلى الإقبال على النظام الفرنسي الجديد، وهكذا تفاوض مع محي الدين بن مبارك مرابط القليعة، ثم كلفه بمهمة إلى باي قسنطينة "الحاج أحمد باي" للإستسلام، ودفع الضريبة التي قبل بها الباي "أوت 1832"، وبعد شهرين بعث معه القائد الفرنسي رسالة ثانية إلى الباي، وعلق عليه في أحد تقاريره لوزارة الحربية الفرنسية :

"إن حمدان هو الرجل الأكثر أمانة وإخلاصا ومهارة في هذا البلد وهذا نادر جدا" [46]

وكسابقيه من قيادات الجيش الفرنسي اتهم روفيغو حمدان خوجة بالتآمر والعمل لصالح خصمه الحاج أحمد باي خاصة مع وصول المبعوث العثماني كامل بك لإخبار الباي القسنطيني على عزم السلطان على إجراء المفاوضات مع فرنسا لإبقاء قسنطينة تحت السيادة العثمانية. [47]

وما لبثت العلاقة وأن توترت بين الرجلين، وتذرع القائد القائد الفرنسي بالنزعة القومية العثمانية- الإسلامية التي بدأ حمدان يدعو له، وذاق حمدان ذرعا ومضايقة من معاملات القائد ثم نفيه من الجزائر. كما أن البكري اليهودي أغرقه في قضايا مالية جعله يتابعها لدى مجلس الدولة الفرنسي. [48]

وفي باريس حاول حمدان التعريف بالقضية الجزائرية أمام الرأي الفرنسي والعالمي وبعث برسائل إلى وزير الحربية الفرنسي سولت بتاريخ 3 جوان 1833 تضمنت "18" ثمانية عشرة شكاية كان لها وقع على الحكومة الفرنسية غير أنها لم ترد عليه، والتزمت السكوت [49] ويمكن الجزم بأن حمدان خوجة في ذالك الوقت جاهر وتجرأ على انتقاد السياسة الفرنسية في الجزائرففي كتابه "المرآة" [50] شهر بسياسة كلوزيل بوجه خاص والسياسة التعسفية والإضطهادية الفرنسية للشعب الجزائري بصفة عامة، وخاصة ما يتعلق بممتلكات الأوقاف والمساجد التي حولت إلى اصطبلات وكنائس.

وتعدى نشاط حمدان بفرنسا حدود الإمكانات الشخصية فبعث إلى الوزير الإنجليزي اللورغالي رسالة بتاريخ 29 جوان 1833 عرفه فيها بالوضعية الجزائرية وأرفق الرسالة بنسخة من كتابه "المرآءة"، ورغم مساعيه وعدالة مطالبه وتجاوب الرأي العام الفرنسي لما كان يقوم به، إلا

أنه لم يحقق أي نتيجة اللهم موافقة الملك الفرنسي لويس فيليب على إيفاد لجنة تحقيق [51] سميت باللجنة الإفريقية بتاريخ 1833/07/07 ومهمتها جمع المعلومات التي تنير الحكومة الفرنسية بوضع الجزائر حاضرا ومستقبلا. [52]

وما دام أنه مفوض من طرف أعيان مدينة الجزائر ليتحدث باسهم قابل حمدان خوجة اللجنة في الجلسة 14، وبناءا على محضر الجلسة فإن خوجة لم تكن لديه حقائق ولا معلومات ولا براهين جديدة، وخاب أمله في اللجنة التي استقرت على أوامر الحكومة المسبقة للاحتفاظ بالجزائر. [53]

ولإيجاد مفعول إيجابي لتحركاته الدبلوماسية الخارجية وسع خوجة نشاطه خارج الدائرة الفرنسية، ووجه عدة رسائل إلى السلطان العثماني محمود الثاني بتاريخ 16 أوت 1833، وحمله فيها مسؤولية ضياع الجزائر جاء فيها : "إننا يوم القيامة سنتوجه إلى العلي جل شانه قائلين إن سلطاننا تخلى عنا. . . ". [54]

وبما أن استانبول مركز الخلافة اختارها حمدان خوجة مستقرا لمنفاه، وتقلص نشاطه وإلحاحه السياسي، واقتناعه بضعف الدولة العثمانية، ولكن هذا لم يثنه من مطالبة الباب العالي لمساعدة الحاج أحمد باي قسنطينة وتأسف لما سقطت سنة 1837، كما له آثار خلدت أعماله منها : "المرآءة" و"إتحا المنصفين"، "إمداد الفتاح"، "حكمة العارف" [55] ويستنبط من الكتب الثلاثة الأخيرة تجلي ووضوح فكرة التصوف وانعدام الطموح السياسي لديه، ويرجع ذلك إلى تقدمه في السن ويقينه بمطمح فرنسا الاستعماري - الاستيطاني بالجزائر.

1- 2 - محمد ابن العنابي : المفتي الحنفي سيدي محمد ابن العنابي شخصية فاضلة ومحترمة اسمه الحقيقي هو :محمد بن محمود بن محمد بن حسين المعروف بابن العنابي، ثقف ابن العنابي ثقافة

واسعة بمفهوم عصره على يد والده والمفتي علي بن عبد القادر، وتمكن من العلوم الشرعية، وتذكر غالب المصادر أنه ولد سنة 1775 وتوفي سنة 1851 بالإسكندرية بمصر وعاش فترة ضعف الدولة العثمانية شرقا وغربا. [56]

تولى ابن العنابي وظيفة الإفتاء على مذهب أبي حنيفة مذهب العثمانيين، وقام بعدة رحلات وبعثات دبلوماسية إلى المغرب وزار عدة بلدان عربية وإسلامية وتولى التدريس بالأزهر، وأفتى فيه ومنح الإجازات، وزار استنبول "الأقصى مركز الخلافة" وفيها تعرف على السلطان محمود الثاني، كما والي مصر محمد علي، وباي تونس، وسلطان المغرب [57] لم يثني ذلك كله من نشاطات المفتي فزياراته كانت شحذ الهمم، وأخذ العبر فجاء كتابه المسمى السعي المحمود في نظام الجنود سنة 1826، وفيه دعوة صريحة للمسلمين إلى الأخذ بأسباب التفوق الغربي - الأوربي في المجال العلوم العسكرية والتكنولوجيا، وبعد هزيمة معركة أسطاولي 19 جوان 1830 دعى الداي حسن المفتي وإعطاء سيفا وأمره بجمع الناس، وإقناعهم بضرورة الجهاد دفاعا عن البلاد. [58]

ونتيجة لما رآه من من تعفس وتسلط الاستعمار على المقدسات والأحوال الشخصية للعباد هاله الأمر فكتب باسم مبادئ الثورة الفرنسية سلسلة من الرسائل إلى الجنرال كلوزيل يذكره بنصوص المعاهدة بين دي بورمون والداي حسين. [59]

حاول كلوزيل إبعاده بشتى الطرق فبعث له ترجمان ومعه شخصين من الجيش الفرنسي أخفاهما عن الشيخ ليكونا شاهدين ضد المفتي، وجرى حوار بينه وبين المترجم جاء في آخره كيف ستصلك قوافل الجنود من داخل البلاد، أم أنك تعتمد على قواتك في مدينة الجزائر فأجابه المفتي : عندما يحين الوقت باستطاعتي تجنيد 30 ألف رجل، وبهذه الوسيلة والمكيدة أوقع الفرنسيون بالمفتي، ووجدوا حجة عليه لنفيه. [60]

وبسرعة الاحتلال قرر القائد الفرنسي نفيه دون إمهاله، غير أن تدخل حمدان خوجة لصالح صديقه العنابي أمهله عشرون يوما لاستكمال المفتي بيع ممتلكاته وتصفية ديونه، وبعدها غادر الجزائر باتجاه الإسكندرية وتولى فيها وظيفة الفتوى الحنفية. (61)

إن الشيء المراد الإشارة إليه بعد نفي ابن العنابي أن الحزب العثماني لم يبقى دون زعامة، بل ظهرت عناصر جديدة، في ظروف جديدة، ومنهم ابراهيم بن مصطفى باشا وبالرغم أنه لم يكن في مستوى سلفه العنابي، أو حمدان خوجة، إلا أنه حاول أن يدافع عن سكان مدينة الجزائر من خلال وظيفة نيابة رئاسة بلدية الجزائر بعد عزل أحمد بوضربة وسرعان ما ظهرت خلافات حادة بينه وبين القائد الفرنسي انتهت بسجنه بعنابة، ووفاته بها سنة 1836. (62)

2- **التيار الوطني :**

أحمد بوضربة : من التجار الأثرياء بمدينة الجزائر، لم تكن علاقته ودية مع الداي حسين وإن كان يبدي نوعا من الرضا الظاهري على العثمانيين، مشتغلا بالتجارة بمرسيليا وفيها تعلم اللغة والعادات والتقاليد الفرنسية، وتزوج منهم.

فر بوضربة مع مبعوث الداي مفاوضة تسليم مدينة الجزائر للفرنسيين يوم 4 جويلية 1830 لدى القائد بورمون، وفيها تكونت العلاقة معه واثقه القائد الفرنسي وولاه رئاسة أول مجلس بلدي للجزائر. (63)

وكان دي بورمون يستشيره في تعيين بعضا من الحضريين على المسؤوليات الجديدة فأوصى بتعيين الحاج مصطفى بن عمر بايا على التيطري، واقترح حمدان بن أمين السكة آغا للعرب (64)

كما لعب بوضربة دورا بارزا فهو عند البعض من الموالين لفرنسا، وعند الآخرين من ضحايا الحكم الجديد بالجزائر. كما انقسم الفرنسيون في التعليق على شخصيته فمنهم من يعتبره صديقا لهم، ومنهم من يعتبره عدوا لدودًا، وهذا راجع إلى ظروف

وعوامل تداخلت في هذا المزيج من الأحكام والآراء فهو لم يحقق طموحاته الشخصية والوطنية من الفرنسيين، وبقى تابعا لهم لأن زوجته منهم وتجارته في بلادهم، وساند الأمير فيما بعد ومارس التجارة في المغرب. [65]

كما أن استبدال الضباط الفرنسيين (ثمانية في ظرف سبع سنوات) من العوامل التي أذكت الخلاف معه باختلاف معاملات الضباط له، وجهل الجزائريين لحقيقة الفرنسيين وانعدام الركن الشديد "القوة الإسلامية" لمساعدته على تحديد بلورة والمواقف فتدخل لدى باي تونس وسلطان المغرب، والرأي العام الفرنسي غير أن كل محاولاته باءت بالفشل [66] ونتيجة لنشاطه المتداخل مع وضد العثمانيين واليهود في نفس الوقت فهو يشيع ويتآمر وينصح ويقدم ويوزع النصائح ويذكي المؤامرات فكثرت حوله الشكاوي والشكوك فقام القائد الجديد كلوزيل بعزله متهما إياه بسوء النية، ويعمل في الوقت نفسه لصالح استعادة الحكم الإسلامي في الجزائر، ووصفه باللطيف والداهية بدون أخلاق، وماهرا ومناورا عمليا. [67]

وفي عهد برتزين جدد نشاطه المكثف لصالح الصر موقعا عدة عرائض باسمهم والتفاوض مع الفرنسيين سنة 1831، وقد نفاه دي روفيغو سنة 1832 فعاش في مارسيليا وهناك تعددت وكثرت نشاطلته فمثل أمام اللجنة الإفريقية، ثم عند الأمير ع القادر 1834 - 1835، وعضوا في مجلس بلدية الجزائر من جديد سنة 1836 [68] وقيل أنه توفي في المغرب الأقصى.

وبما أن أعيان مدينة الجزائر كلفوا بوضربة بالتحدث باسمهم فكتب عريفته أرسلوها إلى الجنرال بيرتزين سنة 1831 يطالبونه باحترام الإتفاق المبرم "معاهدة الاستسلام" واحتجوا على استيلاء الفرنسيين على أملاك المسلمين من أوقاف، ومساجد، وعدم دفع الكراء للجنود، وبيع إقليمي وهران وقسنطينة لباي تونس، وإعادة أملاك الجزائريين، وتخفيض نشاط اليهود. [69]

وسلم بوضربة بدوره مذكرة اللجنة الإفريقية، وتناول منها مبررا ت الإدارة الفرنسية في الإحتفاظ بالجزائر عليها أن تطبق سياسة عادلة بعيدا عن العنف والتعسف، وأن تفرض الضرائب بالتساوي، وإحداث شبكة عمرانية للعرب والفرنسيين لخلق الاحتكاك الحضاري بين الشرق والغرب، وبالتالي تحقيق جملة من الأهداف المتوخاة من الاحتلال. (70)

كما ألح على خلق إدارة في الجزائر يتولاها مجلس استعماري موسع يتكون من الوالي وستة أعضاء وكاتب مسلم يساعده مجلس بلدي يتكون من 5 مسلمين و3 من الفرنسيين و2 اسرائليين على أن يأسس مجلس ملكي صلاحيته تحديد ادارة الشؤون القضائيية.

ويمكن أن نعتبره من أوائل دعاة الإندماج المعجبين بفرنسا في إطار التعاون معها وتجلى ذالك في مثوله أمام اللجنة الإفريقية يوم 17 جانفي 1834 مع حمدان بن أمين السكة وقدم خلاصة أفكاره التي دونها في مذكرته السالفة ناقدا الأوضاع مقترحا حلول علمية لفائدة التعاون الفرنسي والجزائري، ولكن شتان بين مذكرته ومذكرة خوجة روحا ونصا.

3- **التيار الفرنسي** : لا يمكن الحكم بالمطلق على أنهم من الحزب الفرنسي قلبا وقالبا نظرا لتنوع الأشخاص بالأفراد والعائلات المنضوية تحته، كما يظم أفراد من الحزب الوطني وأفرادا من الحزب العثماني فمنهم من ساير الحكم الفرنسي، ومنهم من تحول عنه، ثم إن الفرنسيين لم يكونوا واثقين تماما من ولاء هؤلاء كما أن الولاء الظاهري عند بعضهم هي السمة البارزة لهم إضافة إلى استمراريته على طول الاحتلال الفرنسي للجزائر، كرجال الدين والعلماء والأعيان والموظفين الإداريين، والساسة.

وبما أن أعيان الجزائر "طبقة الحضر" كانوا في بداية الاحتلال يتفاوضون مع القائد الفرنسي كلوزيل الذي طلب منهم أسماء لأعيان

والعائلات الكبيرة لاختيار ممثل عنهم ليتحدث باسمهم فوقع اختياره على مصطفى بن الحاج عمر ليكون بايا على إقليم التيطري، ويبدو أن المنصب كبير اللقمة على صاحبه الجديد القليل الخبرة والمناورة فهو بين مطرقة محاربة ثورة ابن الباي السابق، وسندان ولاء وإرضاء الفرنسيين [71].

وابن أعمر من أثرياء وتجار مدينة الجزائر، وغير معني باللجنة الافريقية، وتحصل على وسام الشرف الفرنسي وعمره 47 سنة متقنا اللغة الفرنسية، ومع مجيء دي روفيغو اضطهد طبقة الحضر فذهب إبن عمر خوفا من اتهامه بالعمل لصالح عودة الحكم العثماني العثماني. [72]

ومعلوم أن كلوزيل حينما دخل مدينة المدية عاصمة التيطري 23 نوفمبر 1870 أخذ بومزراق الباي السابق أسيرا وعين الباي الجديد مكانه عير أنه فشل في وقف ثورة سي أحمد بن بومزراق الذي كان يدخل مدينة المدية دون أن يجرؤ أحدا على اعتقاله، رغم وجود حامية بقيادة دانليون Danlion، فطلب الباي مساعدات عسكرية من القائد العام فجاء برتزين بنفسه وفشل في مطاردة قوات سي أحمد، وقرر الانسحاب من المدية، وأخذ معه ابن عمر [73]. وأراد بركتزين تعيين قائدا على القطاع الوهراني لكن الجنرال بوابي Boyer رفض التعاون

ولم تقتصر فرنسا على تعيين مصطفى الحاج بن عمر بايا على التيطري، بل نال ابن حمدان بوركايب جمدان بن أمين السكة حضا عن رضا أسياده الفرنسيين، وعنصرا هاما من العناصر الحزب الفرنسي بالجزائر في بدايته وولوه منصب آغا الغرب بوصية من أحمد بوغرية.

والمعلوم عن أمين السكة أنه من الحضريين الذين لم يغادروا المدينة طوال حياتهم ولا يخرج منها إلا نادرا، مما يدعو إلى التساؤل والحيرة من سبب تعيينه آغا على إقليم متيجة الذي انطلقت منه الشارة الأولى للمقاومة ضد الاستعمار ؟

إن أسوأ الأعمال التي قام بها الآغا الجديد هو إرهابه لسكان المنطقة بعد انسحاب الفرنسيين من البليدة في بداية الأمر، واختتم قيادته بالإهمال والتسييب وعدم حفظ الأمن فكثرت الاضطرابات والثورات في وجهه مما اضطر كلوزيل جانفي 1830 إلى عزله من منصبه، وأرغمه على الذهاب إلى فرنسا بعدما سلمه شهادة الإخلاص والعرفان، ثم وسام الشرف الفرنسي، وكان يلقب في باريس "السيد" [74].

إن الإطالة الموجزة لظاهرة بروز النخب الوطنية الجزائرية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر ينم عن شيء في نفس يعقوب كما يقال :

• اعتقاد أن "النخبة الحضرية" بصفة عامة لم تأخذ حقها من البحث والدراسة في الأدبيات التاريخية اللهم الاستثناء في حمدان خوجة الذي تفرد بدراسات علمية وعامة ولعل دوره البارز في التعريف بالقضية الجزائرية وكثرة رسائله وشكاويه جعله محل البحث والتمحيص، ويمكن الإشارة إلى أن أ. د أبو القاسم سعد الله صنع الاستثناء عند عامة الباحثين بالتطرق إلى الشخصيات السالفة بنوع من التفصل في كتابيه : الحركة الوطنية الجزائرية ج1م1 ومحاضرات في تاريخ الجزائر، وهو ما جعلنا نعمد بالشكل يكاد يكون بالكل عليهما في دراسة هذا البحث.

• إن الإقرار بحقيقة وجود نخبة باختلاف مشاربها (وطنية، عثمانية، فرنسية) دليل على درجة الوعي، وروح المبادرة في حدود الإمكانات المتاحة، وظروف الاستعمار المدمرة لانتزاع ولوجزئيا بعضا من مطالب وحقوق الجزائريين ولو على أساس احترامها كما هو في وثيقة الاستسلام.

• تنوعت النخب في بدايتها في شكل تيارات أو أحزاب مجازا يتعدد وتداخل المطالب والمصالح، غير أن إرضاء المستعمر كانت غاية لا تدرك فكان المصير للغالبية منهم الاتهام ثم النفي، وواصلت نشاطاتها التوفيقية بين التحقيق والاسترخاء من أجل القضية الوطنية،

ومهـدت الأمــر لمقاومــات ميدانيــة ريفيــة توســعت أفقيــا وعموديــا بتوسيعات الاستعمار الفرنسي، وبداياتتها من سهل متيجة.

ومـن هـذا المنطلـق ألـيس مـن دواعـي البحـث التسـاؤل : عـن مـبررات وأسـباب ظهـور الزعمـات "النخـب" الدينيـة في الأريـاف ؟ ومـا هـي حـدود سـلطتها شـرقا وغربـا ؟ ومـا منطلقاتهـا ؟ وكيـف كـان شـكلها ؟ وهـو مـا سـنحاول التطـرق إليـه في عنصـر النخبـة الدينيـة المقاومة من الاحتلال إلى غاية 1916.

المبحث الثالث

النخبة الدينية المقاومة 1830- 1916

لم يكن توقيع معاهدة الاستسلام الداي، وانهيار مؤسسات دولته بالجزائر النهاية السعيدة المرجوة من طرف قوات الاحتلال، إذ سرعان ما وقفت على حقيقة المقاومة الشعبية، والتي تمثل ردّ فعل الجماهير الجزائرية، وانتصابها كمدافع عن الأرض والعرض والدين. فانتعش روح الجهاد فيه، وأخذ أهالي متيجة وزعمائها أسبقية المبادرة، ثم سرعان ما سرت تلك الروح في الغرب الجزائري ثم شرقه ثم امتدت عموديا وأفقيا وفي مختلف جهات الوطن إلى غاية 1916.

2-1- أهالي متيجة وأسبقية المقاومة الريفية 1830 - 1835

إن سقوط مؤسسات الحكم المركزي العثماني بمدينة الجزائر، سمح بعد ثلاثة أسابيع من الاحتلال من ظهور قيادة الجديدة ريفية تقود المقاومة، وكان على رأسها ابن زعمون والحاج سيدي السعدي والحاج محي الدين بن المبارك القليعي.

أخذت المقاومة في المتيجة بعد سقوط الجزائر العاصمة شكلها التلقائي في اجتماع تامنفوست 1830/07/23 أين تقرر بواسطة زعماء قبائل المتيجة وبعضا من زعماء العاصمة إعلان الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين كما ذهب إلى ذلك أبو القاسم سعد الله [75].

وشكلت مقاومة قبيلة فليسة بقيادة الزعيم الروحي ابن زعمون (ابن ز عموم في بعض المراجع) صاحب النفوذ الكبير في إقليم متيجة، وتأثيره المتزايد على السكان واشتباكاته المتكررة مع قوات العدو احدى عوامل انسحاب كلوزيل من البليدة والعودة إلى العاصمة [76]

وما لبث وأن تقوى ابن زعمون ودعوة الحاج السعدي الناس إلى الجهاد وحمل السلاح، وتوحدت جهود المقاومة، بقطع الإمدادات على

فرنسا مما اضطر الجنرال بريتزين إلى إجراء مفاوضات فكان الوسيط بين القوات الفرنسية والأهالي هو الشيخ محي الدين بن المبارك [77].

وبعد مذبحة العوفية أفريل 1832 استأنف القتال ضد العدو فكان الحاج السعدي على رأس المجاهدين روحيا، والحاج محمد زعموم ميدانيا، ثم كان اجتماع سوق علي بالقرب من بوفاريك، واستمرت المناوشات بين أهالي المتيجة والفرنسيين إلى غاية 1835 في الوقت الذي وصلتهم أخبار عن انتصارات الأمير ع القادر فانضم إليه زعماء متيجة كابن السعدي، وابن المبارك (خليفة الأمير في مليانة) [78].

2 - 2 - المقاومة المنظمة 1830 - 1847 وتنطوي تحته مقاومة الأمير عبد القادر بالغرب، والحاج أحمد باي بالشرق الجزائري، فحقق الأول القيادة عن طريق البيعة، وكسب الثاني ولاء بعض الشخصيات الدينية البالغة التأثير ببابلك قسنطينة بقيادة الشيخ ابن الفكون [79]

2 - 2 - 1 مقاومة الأمير عبد القادر 1832 - 1847

تراوحت العلاقة قبيل وعشية الاحتلال الفرنسي للجزائر مكانها بين الطرق الصوفية، وسلطة الحكم العثماني، وبالضبط بالمنطقة الغربية التي رفضت الطرق الصوفية إيواء ماتبقى من السلطة العثمانية بالجزائر، وشعور السكان بإلزامية إيجاد سلطة تأخذ على عاتقها مهمة وضع حدّ للتوسع الاستعماري[80] بالقطاع الوهراني الذي بلغ فيه سن الباي حسن عتيا (80 **سنة**)، واعتذار الحاج محي الدين لرؤساء القبائل والعلماء والأعيان عن قيادة عملية الجهاد، ولم يمانع ترشيح ابنه عبد القادر لتولي هذه المهمة. [81]

وبعد البيعة الأولى "الخاصة" يوم 27 نوفمبر 1832، وقعت البيعة الثانية "العامة" أو الرسمية يوم 4 فيفري 1833، وفيها تم تحديد معالم المقاومة بصفة خاصة، والأسس الدستورية لدولة الأمير الجديدة [82].

ودون الاسترسال في حيثيات المقاومة بين 1832 - 1847، واتفاقيات الهدنة التي عقدها الأمير مع جنرالات فرنسا بالجزائر دي مشيل فيفري 1834، ومعاهدة التافنة جوان 1837 [83] يمكننا التذكير، وفي حدود الحيز الخاص بهذا العنصر أن مقاومة الأمير ارتكزت على دعائم حكم جديدة رعيت فيها ضوابط : الشورى والعدل والمساواة، والطابع الوحدي للدولة غربا وشرقا كمقاومة العدو، وبناء أسس الدولة الوطنية الحديثة المبنية على ركن الجهاد كقوام الدين والدنيا.

إن مكمن ما نصبوا إليه من مقاومة الأمير كرائد للنخبة الدينية الوطنية المتصوفة "جمع بين الزعامة الدينية- والسلطة السياسية" أنه حاول أن يجعل من شعبه أمة، وتوسيع رقعة سلطته من خلال فكرة تناوي الحرب والسلم مع الفرنسيين، فشغل نفسه بين الحرب لتحقيق أهداف الجهاد، والسلم كضرورة ملحة لتنظيم شؤون دولته الداخلية [84]

ومن أجل ترسيخ تلك القواعد وإرساء مبادئها، وأسس الدولة ومؤسساتها كالإطار الإقليمي، والنظام الإداري، والمقاطعات الإدارية، وعلى رأس كل مقاطعة خليفة، وعاصمتها معسكر، والوزارات (النظارات) كالأوقاف، والأمور الداخلية والخارجية، والحربية والخزينة والمالية [85]، ومؤسسات تمثلية تشريعية كمجلس الشورى وغيرها من المؤسسات شكلت في مجموعها دولة مركزية لتحديث [86] المجتمع الجزائري.

فالأمير يعرف أن الاحتلال الفرنسي ليس مغامرة عسكرية لمرتزقة أوربا فحسب بل استعمار إستطاني عسكري تغلب ميدانيا على القوة المناوئة له أدى إلى إجهاض محاولة التحديث الأميرية، وقضى عليها نهائيا سنة 1847.

فهل تمكنت الحركة الوطنية من توظيف إرث الدولة التحديثية لأمير لتوطيد مشروع طرد الاستعمار؟ وتأسيس دولة وطنيه مستقلة.

2 - 2 - 2 مقاومة الحاج أحمد باي : 1830 - 1847 : ينتمي الحاج أحمد باي إلى الطبقة الكرغلية من أم جزائرية وأب عثماني، حضر رحلة الدنوش للداي بالعاصمة، ومعه 400 فارس وبعض أعيان قسنطينة عاش تفاصيل الحملة الفرنسية، وطلب منه الداي تحضير نفسه لملاقاة الفرنسيين بسيدي فرج، ثم معركة أسطاوالي التي فقد فيها 200 فارس[87]

واعترف له أعداؤه ومعاصروه بالحنكة السياسية، وغيرته الدينية وكرهه الشديد للأجانب [88]، ومهارته في التنظيم، فجمع خصال الحاكم القدير، وربط مع أصهاره بالزيبان والأوراس، وبعد تغلب الفرنسيين عليه سنة 1837 ظل يقاوم إلى غاية 1848 ووقوع صفوف أصهاره وأتباعه محاربا على عدة جهات : باي تونس، وفرحات بن سعيد وعائلة بن قانة والفرنسيين والأمير ع القادر[89].

فالحاج أحمد باي من ألمع وجوه المقاومة، ومن أكبر قادتها الذين دوخوا فرنسا، فاعترف له جنرالات فرنسا بالدهاء العسكري، وحاول المارشال فالي أن يتفق معه إقناعا منه أن الرجل أهلا للقادة ولا يمكن أن يستسلم بسهولة [90].

وفي قسنطينة وبعد رجوعه من العاصمة تجمعت حوله حشود الأنصار شجعه على موقفه الرافض والمقاوم للاحتلال معتمدا على العنصر الوطني جيشا وإدارة ومالا، ولقب نفسه بالسلطان مرسلا وفدا بالباب العالي معلنا له الولاء وطالبا للبيعة وكانت عائلات البركاني والسعدي وابن الهاشمي وابن بلال، وابن عسي، وابن الحملاوي والمقراني[91] الإدارة الحاكمة والسيف البتار في منظومة الباي القيادة.

تمكن الحاج أحمد باي من بناء مقاومة وطنية ببايلك الشرق في حدود الإمكانات المتاحة بين 1831 - 1836، وصدّ لحملات الفرنسيين خاصة حملة 1836 وكبد الجيش الفرنسي خسائر على أسوار

قسنطينة، ومطاردة الفرنسيين إلى قالمة، وكان لانتصاره وقع كبير في نفوس الأهالي وفي عزل كلوزيل. [92]

وانقلاب حلفائه إلى خصومه كفرحات بن سعيد، وسلطان تقرت عليه، زيادة على تشكيلة مع الجواسيس المستعملين من طرف الفرنسيين أدت إلى سقوط أحمد باي وعاصمته قسنطينة قبل سنة 1837 [93] منسحبا إلى جبال الأوراس والزيبان.

إن فشل المساعي المقاومة التي قادها باي قسنطينة الحاج أحمد باي، بسقوط قسنطينة وأسوارها، وخروجه لعشرة سنوات متنقلا ومقاوما بين الأوراس والزيبان شكل بحق المقاومة الدينية والرسمية والشعبية لقائد كرغلي رفض مساومات الفرنسيين رغم الاستسلام، ورفضه التوجه إلى باري

2 - 2 - 3 المقاومات الشعبية 1847 - 1916 : لم تنطفئ شعلة الجهاد لدى الشعب الجزائري باستسلام الأمير ع القادر، وبعد الحاج أحمد باي، بل شكلت طوفان جارف من المقاومات الشعبية امتدت لأثر من نصف قرن (70 سنة)، فتعددت بؤر المقاومة الشعبية رغم اختلافها. الزمكاني فكانت ثورات الزعاطشة بقيادة بوزيان 1849، وثورة بلاد زواوة بقيادة الهاشمي. وبوبغلة،

وفاطمة نسومر 1848 - 1857، وفي الصحراء : ورقلة والأغواط سيدي الشيخ، والشريف بوشوشة وناصر بن شهرة 1854 - 1857، وثورات الأوراس وبن سناس 1858، وانتفاضات أولاد سيدي الشيخ 1869 - 1892 بمرحلتيها قدور بن حمزة وبوعمامة، وثورة المقراني والحداد 1870، وانتفاضات أوراسية 1880، وانتفاضات مليانة وريغة سنة 1901، وثورة الأوراس والأهقار 1916، ولا يمكن ايجاز المقاومات الشعبية وحصرها في ما ذكر في هذا السياق الموجز.

ترى الغالبية من الدراسات التاريخية والمراجع.[94] أنه ممكن التوافق بين كل المقاومات في الجزائر خلال القرن 19 وبداية القرن العشرين بروز ظاهرة الزعامة الدينية (الروحية) نتيجة لإذكاء روح الجهاد، وتعبير سابق عن إرادة الأمة المرافقة لكل ما هو غريب، ونتيجة مباشرة للفراغ السياسي الذي تركته بقايا السلطة المنهارة وشكلت خاصية وميزة الأصالة الوطنية في المقاومات الشعبية العامل المشترك منذ بداية المقاومات الرسمية والشعبية، مشكلة رافد واحد في سبيل الوحدة الوطنية وطرد الغزاة عن طريق تجنيد القاعدة الشعبية الريفية التي كانت تشكل السواد الأعظم من جنود الفلاحين كخزنات ووقود لأتون ظلت مشتعلة لفترة زمنية طويلة.[95] ورغم شمولية المقاومات الشعبية وتواصلها : إلاّ أن التفوق العسكري الفرنسي وسياسة التدمير الشامل، والدور الخطير لبعض المرتزقة والعناصر العميلة، والطابع الإقليمي والمحدود لها أدّى إلى فشل تلك المقاومات، وإلى تعدد مراكز النفوذ السياسي لها كرّس ظاهرة تعدد النخب "الزعامات" الدينية بعد سنة 1830 إلى غاية 1916.

4 - تعدد النخب الوطنية 1903 - 1954 :

1. 2. 3 قطبا المحافظين والليبراليين الإندماجيين 1903 - 1926

1 - المحافظين : كما يبدو في الدراسات التاريخية التي تناولت بدايات القرن 20 أن لم يكن بالجزائر أحزابا بالمعنى المتداول بل يوجد قبل سنة 1908 جمعيات إجتماعية وقافية تألفت حولها بعض النوادي كنادي صالح باي والجمعية الرشيدية، إلى غاية سنة 1908 كانت الجماعة السياسية هي لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين.

ونظرا لاختلاف مشارب الكتلة المحافظة، فإن ذلك انعكس على مطالبهم سياسيا الغير معقدة، والتي يمكن تلخيصها :

- في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية
- المساواة في التمثيل النيابي والضرائب
- احترام عادات وتقاليد الجزائريين

• إلغاء القوانين الإستثنائية. [93]

• ولعبت شخصيات هذه الكتلة دورا بارزا وهاما في إثبات هذه الشخصية الوطنية ومقومات الهوية الجزائرية منها ع القادر المجاوي "1848 - 1913" عبد الحميد بن سامية "1866 - 1933" وسعيد بن زكري [94] حمدان بن الويني، ومولود بن موهوب، وهذا الأخير مثل المتحدث الغير الرسمي لهذه الطبقة.

ويمكن إيضاح مكمن لعبهم للأدوار متقدمة لمعاصرتهم للشيوخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا وزعماء آخرون لحركة الجامعة الإسلامية في الشرق الأدنى.

2 - **جماعةالنخبة "الليبراليين والإندماجيين"** يرى أبرون أن التسمية ليست طفرة حدثت سنة 1900، وبطريقة عفوية وإنما ترجع إلى سنة **1892** أين تعرف على ثلة من المسلمين المتفرنسسين الذين آنس لديهم وعيا سياسيا عاليا منهم بن مجاوي وبن بريهمات، والدكتور مرسلي. [97]

والغالب أن التسمية ظهرت حوالي سنة 1909 كصدى التسمية "الفتيان الأتراك" وتسمية "الفتيان الأتراك"، وعشية اندلاع الحرب العالمية الأولى بلغ عدد الفتيان مئات الأشخاص من بين محافظين ومحامين وأطباء وخريجي المدارس الرسمية. [95] بينما يرى أبو القاسم سعد الله أنه بلغ عددهم أعضاء النخبة 450 مثقفا جزائريا سنة 1907، لم يتبنوا أفكار الغرب، ووسائل عيشه، وطريقة عمله، وثقافة تعليمه بل أرادوا أن يلعبوا دورا وطنيا قد يجعل من المجتمع الجزائري التقليدي والمتخلف مجتمعا حديثا متقدما. [98]

وكانت النخبة منذ 1900 يطالبون :

- توسيع حق الانتخاب
- حق انتخاب المستشارين

- وضع برنامج خاص لتعليم الجزائريين
- إصلاح المدارس الجزائرية- الفرنسية
- نشر التعليم الفرنسي والثقافة الأوربية
- تقديم المساعدات للفلاح والشباب والأرياف
- تشجيع الهجرة خاصة بعد سنة 1912

وختمت مطالب الفتيان بالعطف والحنان الجمهوري الفرنسي ومن طرف الأمة الفرنسية لتحسين ظروف معيشة الشعب الجزائري البائس. [99] ومع نهاية الحرب سارع الفتيان إلى جني ثمار عملهم وإخلاصهم للقضية الفرنسية وامارات الولاء ربما لجلب الاعتراف لهم من طرف الرسمين أو على الأقل تعاطف الرأي العام الأوربي بمقاومتهم للدعاية الألمانية [100].

ورغم آرائهم المعتدلة وثورتهم ضد التعصب كانوا قد اتهموا من خصومهم الفرنسيين باعتناق فكرة الجامعة الإسلامية، وبكونهم مستغلين للمشاعر الدينية لدى الجماهير الجزائرية، وفي دفاعهم عن أنفسهم أنكروا ذلك معتبرين أن الجامعة الإسلامية موضوعا شعبيا ولكنها لم تكن مذهبا لهم. [101]

ويجمع المؤرخون في تاريخ الحركة الوطنية على الدور الكبير التي لعبته النخبة، رغم أنه لم يكن حاسما في إيقاظ الوعي السياسي لإخوانهم في الدين، وكذا نشاطهم في تحسين الظروف المادية والمعنوية للمجتمع الجزائري، غير أن ضعفهم الرئيسي يتمثل في عدم وجود قيادة فعالة ومنظمة تقود مطالبهم والعرائض وبلورتها في شكل برنامج لحركة وطنية جزائرية جديدة.

4 -3 -2 - ثنائية النخبة : "الإسلامية واليسارية" الشيوعية 1914- 1954

1 - النخبة الإسلامية

شكلت التجربة الإصلاحية الإسلامية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها سنة 1931 إلى غاية حلها سنة 1956 مادة مثيرة للجدل العلمي من حيث التساؤلات الواردة والممكنة في نشأتها الإصلاحية الدينية أم أنها تجاوزت إطارها المحدد لها ؟

فأغلب الدراسات التاريخية تحرص على إبقاء الصفة الثقافية – الدينية الملازمة لنشأتها يوم 05 ماي 1931 وبيانها التأسيسي الحامل للبرنامج الخاص بها :

الإسلام ديني، والجزائر وطني والعربية لغتي [102]

كانت المعارك الأولى لجمعية العلماء محصورة في البداية في مواجهة الطرفين وسرعان ما انتقلت إلى مناوشة الاستعمار في قضية فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية وهي القضية التي تبنتها فيما بعد كل الحركات الوطنية في المؤتمر الإسلامي سنة 1936، وبرنامج حركة أحباب البيان سنة 1944 [103].

كما كان للجمعية موقف من عنصر أكثر تعقيدا، وهو موقفها من التجنيس والإدماج، حيث اعتبرتها الجمعية من الأكثر مسائل مصيرية لأن الهدف هو إلحاق المجتمع الجزائري بالمنظومة الفرنسية، والمطالبة بالحفاظ على قانون الأحوال الإسلامية، وفيها أصدر الإمام ع الحميد بن باديس فتوى بتاريخ 10 أوت 1937 أهم ما جاء فيها :

1- التجنس بالجنسية الفرنسية التي ينجم عنها التخلي عن الشريعة الإسلامية ردّة

2- من ترك وصية في غير أصول الإسلام مرتد

3 - من تزوج بغير مسلمة وألحق أبناؤه غير مسلمين وهو يعلم فهو مرتد[104]

كما ساهمت جمعية العلماء في انتعاش الحركة الوطنية أثناء ح. ع. II وبعدها، إذ أصبح شيخها البشير الإبراهيمي أحد أبرز النشطاء السياسيين الجزائريين وشكلت مساعي العلماء بين البيانيين وعناصر حزب الشعب عاملا وهما في نجاح تشكيل حركة أحباب البيان والحرية التي تحولت إلى حركة جماهيرية بفعل حركية قيادتها المعتدلة.

لم تتوقف التجربة السياسية لجمعية العلماء عند مجازر الثامن 1945 وموقفها المندد بالمجازر كما توخت بعض الدوائر الاستعمارية آنذاك، إذ استمرت في نشاطها التعليمي حتى غدت تشرف على 181 مدرسة في سنة 1954، ورفضها لقانون 20 سبتمبر 1947، كما شاركت في تحالف الأحزاب الوطنية سنة 1951 [105]

انتهت التحليلات بلأدبيات التاريخية التي تناولت الجمعية إلى خلاصة تحليل ثالوث شعار الجمعية وبرنامج لها.

- الإسلام ديني : مواجهة البدع والخرافات، والطرق الضالة، والدعوة إلى العودة إلى الإسلام الصحيح، كالمطالبة باستعادة المساجد والأوقاف والقضاء الإسلامي[106].

- الجزائر وطني : مواجهة الإدماج، والتجنيس الطوعي للجزائريين، وواجب التمايز بين الهويتين الجزائرية والفرنسية، فالجزائر وطن لن يكون فرنسا، بل بلد مستقل وتعمل الجمعية على تحقيقه، يكون علماءها مستشاريها، والأمة الإسلامية مرجعيتها.

- العربية لغتي : أي نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية والإعتزاز بالكبرياء والإحياء الإسلامي، وانشاء المدارس الأدبية، والدعوة إلى حرية الصحافة وترسيم اللغة العربية [107].

2 - النخبة اليسارية "الشيوعية" :

في حدود 1924 ظهر تحول كبير في سياسة اليسار الفرنسي في الجزائر، وقيام الحزب الشيوعي الفرنسي بنشاط كبير ومركز، انتهى بتشكيل الفدرالية الشيوعية الجزائرية والغرض منها احتواء العناصر الجزائرية، في إطار توظيف الكومونتيرن من أجل الدعاية للثورة البولتيارية، وإنشاء التنظيم اللاطبقي في فرنسا ذاتها، والسماح للمغاربة بالانخراط فيه مع عدم السماح لأية قيادة برجوازية للإنفراد به.

يرى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله اهتمام الحزب الشيوعي الفرنسي بالأوضاع بالجزائر سنة 1924 إلى جملة من الأسباب، منها مثلا زيارة الرئيس الفرنسي إلى الجزائر في مارس 1922 والتي كانت وراء جذب اهتمام الكومنترن إلى المسألة الجزائرية [108].

وظهرت العلاقة بين النجم والحزب الشيوعي الفرنسي في إسناد القيادة إلى أحد الشيوعيين الجزائريين الحاج علي عبد القادر الذي كان في اللجنة المركزية الشيوعي الفرنسي، غير أن برنامج النجم الوطني جعل منظمة الكومنترن توحي بالحذر منه والعمل ضدّه[109].

5 - النخبة الاستقلالية الثورية 1916 - 1954

5 -1 - التوجه المطلبي للأمير خالد إلى غاية 1923 :

بعد مشاركة الأمير خالد في انتخابات المجلس البلدي لمدينة الجزائر في شهر نوفمبر 1919 وحصلوه على الأغلبية من أصوات الناخبين بنيل لعريفة التي تقدم بها925 صوت مقابل 332 صوت لعريفة ابن التهامي.

وقد تضمنت العريضة في مجملها البرنامج السياسي لحركة الأمير منذ 1919 والتي يمكن حصرها في المطالب الآتية :

- التمثيل النيابي للجزائريين في فرنسا.

- إلغاء القوانين الاستثنائية التي تخص البلديات المختلطة.

- التعليم الإجباري باللغتين العربية والفرنسية.

- المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق والواجبات. [110]

لقيت هذه المطالب تجاوبا شعبيا واسعا واتهمه المعمرون بمعاداة فرنسا، وبأنه وطني يستغل نفوذه الديني لكسب ود الجماهير، وهذا ما أدى إلى إلغاء انتخابات البلدية من طرف مجلس ولاية الجزائر بحجة التعصب الإسلامي للأمير خالد[111].

وتزامنا مع انعقاد مؤتمر الصلح بباريس قدم عريفته مطالب إلى الرئيس الأمريكي ويلسون نصت مجملا "عرضا مفصلا" لأوضاع وأحوال الجزائريين في ظل تعسف الإدارة الفرنسية غير أن الآمال المعقودة سرعان ما تلاشت بعد أن رجع الوفد إلى الجزائر دون تحقيق أي مكسب، وهو ما جعلها تعود إلى المطالبة بالحقوق السياسية في ظل إصلاحات الحكومة الفرنسية [112].

وبفضل تحركات الأمير في مختلف أنحاء الجزائر قام بإنشاء "جمعية الإتحاد الجزائري" واتخذ جريدة الإقدام لسانا ناطقا لها، منطلقا من قانون إصلاحات الصادر في 04 أوت 1919، وأضاف لها مطالب اقتصادية واجتماعية منها :

- مشاركة الجزائريين في الأراضي التي يستغلها المعمرون الأوربيين.

- العمل على صد الطرقات، وانشاء السكك الحديدية.

كما استغل الأمير زيارة الرئيس الفرنسي الإسكندر ميدلراند [112] في 22 أفريل 1922 للجزائر ليقدم له عدة مطالب ألقاها على شكل خطاب الرئيس، وعلى رأسها حق الجزائريين في تقلد جميع المناصب دون قيد أو شرط. [113]

وكان للنشاط الكبير لأمير خالد دورا في تأليب الإدارة الفرنسية ضده، وذلك بتجنيد بعض مؤيديها لمحاربته لتنتهي المؤامرة في الأخير بصدور قرار يقضي بإبعاده عن الجزائر نحو مصر في جوان **1923** [114].

5 - 2 - دور الأمير خالد في تفعيل نشاط المهاجرين بفرنسا (1924 - 1923)

شهدت الأوضاع الجزائرية مع بداية القرن 20 تدهورا في كافة الميادين نظرا لسياسات الإدارة الفرنسية التي سعت لتضييق الخناق على كل تحرك مطلبي يسعى لتغيير أوضاع الجزائريين، فمن إجحاف قانون الأهالي إلى ثقل الضرائب، ووضع الأوقاف تحت تصرف السلطة الاستعمارية، لم يجد الجزائريون ملجأ يقيهم ظلم هذه الإجراءات سوى الهجرة نحو مسارات متعددة خاصة نحو سوريا وفرنسا، إذ أشهدت هذه الأخيرة بعد ح. ع. I موجة كبيرة للمهاجرين الجزائريين لخدمة فرنسا الاستعمارية وبلغ عددهم ما بين 1900 - 1914 حاولي عشرة آلاف مهاجر تمكنوا من خلال احتكاكهم بفرنسيين من معرفة أساليب جديدة للكفاح. [115]

وكان الحزب الشيوعي الفرنسي أيد المؤتمر الأول لأهالي إفريقيا الشمالية الذي عقد سنة 1924 بباريس، وذلك بحضور النائب الشيوعي "دوريو" الذي وعد شعوب إفريقيا الشمالية المضدهدة يدا لعون لها حتى تحريرها من الأميريالية الفرنسية. [116]

فبين 12 و19 جويلية 1924 كلف الأمير خالد من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي بإلقاء محاضرتين على التجمع الكبير الذي حضره العديد من أبناء المغرب العربي بالإضافة أبناء المستعمرات الأخرى من عمال، ومقيما في العاصمة الفرنسية باريس، وانطلاقامن هذا المجتمع شرع الأمير خالد بتوسيع نشاطه في أوساط العمال المهاجرين من أبناء شمال إفريقيا. [117]

أسفرت تلك المحاضرات عن تأسيس لجنة من أبناء شمال إفريقيا المواظبين على الحضور كالحاج ع القادر، والحاج مصالي، عبد العزيز منور، السيد علي الحمامي المراكشي، أحمد بهلول، وبانون آكلي واتخذت اسم "هيئة إغاثة المغاربة"، وهدفها الإشراف على تنظيم عمال شمال إفريقيا للعمل المشترك بينهم. وتجلى أول عمل للهيئة في عقد المؤتمر الأول لها في 07 ديسمبر 1924 بحضور ممثلين عن 75 ألف عامل، تناول فيه الحاضرون اهتمامات العمال الاقتصادية والنقابية مختتما بإصدار برقيات التأكيد للحركات التحريرية في كل من تونس والمغرب الأقصى ومصر [118].

5 - 3 -1 نجم شمال افريقيا 1926 : إن الفكرة التي زرعها الأمير خالد في فرنسا وجدت طريقها في أوساط عمال شمال إفريقيا الذين كانوا ينشطون ضمن نقابات العمال اليسارية الفرنسية المختلفة، أبرزها نقابات تابعة للحزب الشيوعي الفرنسي، وقررت لجنة المستعمرات في هذا الحزب السماح للمناضلين المغاربة بتأسيس جبهة وطنية خاصة بهم في 20 مارس 1926 [119].

وهو الأمر الذي لقي ترحيبا كبيرا في أوساط المهاجرين المغاربة، وكان اجتماع التأسيس في جوان 1926 [120].

أما آكلي بانون ذكر أن الاجتماع كان يوم 15 مايو 1926 بباريس بمبادرة من ع القادر، الحاج علي، وأن أول اجتماع لجمعية نجم شمال إفريقيا كان في 2 جوان 1926 عقبه اجتماع آخر ضم كل المناضلين في 02 جويلية تم خلاله تشكيل اللجنة المركزية للحرب، والتي ضمت 15 عضوا ترأسها الحاج علي بينما كان أمينها العام الحاج مصالي [121].

وأثناء ترأس مصالي الحاج للنجم ومشاركته في مؤتمر الجمعية المعادية لاضطهاد الاستعماري ببروكسل في الفترة الممتدة بين 10و 15 فيفري 1927، أعطى فرصة هامة لإعلان مطالب

الجزائريين أمام المؤتمرين، وهي نفسها المطالب الوفود المختلفة خلال فترة النهضة "1900 - 1914" ومطالب الأمير خالد ويمكن تلخيصها في النقاط الآتية :

1. الاستقلال الكامل للجزائر.
2. جلاء الجيش الفرنسي وإنشاء جيش جزائري.
3. وضعية الأراضي وكيفية انتقالها.
4. العفو العام وإلغاء قانون الأهالي.
5. انشاء مجالس نيابية وبلدية جزائرية.
6. حق وإجبارية التعليم [122].

5 - 4 - حزب الشعب الجزائري 1937 - 1944 :

اعتقدت الإدارة الفرنسية أن قرار حل النجم الذي أصدرته سيضع حدا للنشاط الوطني لهذا الحزب غير أن توقعها هذا لم يكن صائبا فأفكار الحرية ومبادئها التي اتسع نفوذها في أوساط أعضاء النجم، والقاعدة المؤيدة له أسفرت عن إعادة تأسيس تنظيم سياسي جديد خلف النجم تحت اسم حزب الشعب الجزائري[123]،

وبعد حله استمر نشاط النجم في شكل جمعية أحباب الأمة فمن خطة تهدف إلى إيجاد صيغة قانونية لهذا النشاط تجنبهم ملاحقات ومضايقات الشرطة الفرنسية غير أن افتقار هذه الجمعية على الاهتمام بجريدة الأمة وتطورها جعل مسؤوليه يتجهون لدفع نضالهم الوطني في شكل حزبي [124] بإعلان عن تأسيس حزب سياسي باسم حزب الشعب الجزائري برئاسة مصالي الحاج، في حين احتفظ بنفس التنظيم الحزبي بمطالب عمل النجم والتي كيفها تبعا لتغير الظروف والأوضاع على الساحة السياسية.

فالتصريح الصادر عن المكتب السياسي لحزب الشعب الجزائري عقب اجتماع تأسيسه حدد طبيعة وبرنامج عمل هذا الحزب حيث لخص موقفه السياسي، وأسلوبه النقابي في عبارة "لا بالإدماج" [125] ولا "بالانفصال" [126]، وإنها بالتحرير[127] أي الاستقلال[128].

وبغرض التميز بين ن. ش. ج عمل برنامج الحزب الجديد التخلي عن مطلب استقلال شمال إفريقيا، والتركيز على المطالبة باستقلال الجزائر من خلال انتخاب برلمان جزائري عن طريق الاقتراع العام دون تميز عرقي أو ديني[129]. أي في إطار الشرعية وتحت رمز السيادة الفرنسية.

كما حافظ حزب الشعب على الأهداف البعيدة المدى للنجم، والمتعلقة بإنشاء حكومة وطنية واحترام الأمة الجزائرية، واحترام اللغة العربية والدين الإسلامي بالإضافة إلى المطالب العاجلة الاقتصادية منها والاجتماعية، والعمل على محاربة الاستعمار محليا وعالميا وبكافة أشكاله وصوره، ومن هذا المنطلق توجه مناضلوه إلى تجسيد هذه المبادئ عمليا [130].

الهوامش والإحالات

1 - عبد النور خيثر : تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية 1954 - 1962 أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر (إشراف) حباسي شاوش قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص 14.

2 - يقدم الباحث القانوني فاروق حميدشي أن استعمال مصطلح النخبة ترجع إلى القرن السابع عشر ميلادي في أوربا لوصف سلع ذات مميزات معينة، أو ذات الجودة العالية، ثم امتد استعمالها ليشمل الفئات الاجتماعية المتفوقة "كالنبلاء"، "العسكريين"، ولم يتداول هذا المصطلح في أوربا بعدها إلا في القرن 19 بالشكل الذي يحدد أنها النخبة الواعية الحاملة لآمال وطموحات الفئات العريضة من المجتمع الأوربي، ثم انتقل إلى بريطانيا والو. م. أ في بداية العشرينات من ق 20م، ينظر : فاروق حميدشي. الجماعات الضاغطة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 88. كما يمكن الإستفادة من كتاب النخبة والنخبوية للباحث الإيطالي جيوفاني بوزينو الصادر عن دار القصبة للنشر أين يستعرض فيه النخبة بين التصور والحقيقة، وأهم المدارس النخبوية وروادها في أوربا الغربية، والو. م. أ والتطور التاريخي لمفهوم النخبة المشتق أصلا من اللفظ اللاتيني élire المراد به الإختيار والإنتخاب ينظر :

Giovani Busino : elites et élitismes, editions casbah. Alger, 1998, p 3

3- أحمد زكي بدوي : معجم المصطلحات العلوم الإجتماعية، بيروت، لبنان (د. ت. ن)، ص129، 130 وحدد علماء غربيين من أمثال العالم الفرنسي جي روشي بأن الصفوة هي عبارة عن مجموعة الأشخاص وجماعات، يشاركون في صياغة تاريخ جماعة ما عن طريق القرارات أو الإحساس بمشاعر الآخرين، ويصنفها عالم الإجتماع الفرنسي آرون ريمون في ثلاث مستويات في نسقها الصناعي : السلطة الروحية، المثقفون، رجال السياسة وقادتها، ويعوز المجري الأصل الألماني الجنسية كارل مانهايم 1893 - 1974 النخبة الثقافية بأنها الصفوة، والقلة

المجتمعية، واتفاق الغالبية من العلماء في أن النخبة هي القلة المتمكنة المالكة لمحددات ومعايير تؤهلها لقيادة العامة كهارولد لازويل "1902 -1979"، دايفيد زيزمان، وروبو داهل، وجيمس برنهايم"1905 - 1987" وفريدريك بلاي "1806 - 1882" وغيرهم كثير. ينظر GIOVANI BUSINO : OP. cit. pp : 9 - 59 وأيضا محمد السويدي : علم الإجتماع السياسي ميدانه وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، 1996، ص ص : 60 - 62.

[4]- مصطفى حداب : "بنية النخب في الجزائر" (تر) باتسي جمال الدين، النخب الإجتماعية حالة مصر والجزائر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005، ص 21.

[5] - الحسيني السيد : علم الإجتماع السياسي : المفاهيم والقضايا، ط2، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص : 146، 147

[6] - نيقولا تيماشيف : نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها. (تر) محمود عودة وآخرون، دار المعارف، مصر، 1972، ص ص : 245 - 247

[7] - الحسيني السيد : المرجع السابق، ص 157

[8] - علي محمد علي : دراسات في علم الاجتماع السياسي، دار الجامعات المصرية الإسكندرية، مصر، 1977، ص 79.

[9] - محمد السويدي : المرجع السابق، ص 63.

[10]- نفسه، ص 64

[11]- حاول موسكا أن يفرق بين نظريته السياسية في التاريخ والمادية التاريخية لماركس مؤكدا دور النخبة في التغير الاج المنشود متهما المادية التاريخية "التفسير الاقتصادي للتاريخ" بالقصور وعدم تمكنها من ايجاد تفسيرات شاملة له. ينظر : السيد الحسيني : المرجع السابق، ص 164

[12] - محمد السويدي : المرجع السابق، ص 64

[13] - محمد السويدي : المرجع السابق، ص 64

[14] - علي محمد علي : المرجع السابق : النخب، ص 82.

[15] - الطاهر بن خرف الله : النخب الحاكمة في الجزائر 1962 - 1989، ج1، دار هومة للنشر والتوزيع والطبع، الجزائر، 2007، ص. . .

[16] - نور الدين زمام : القوى السياسية والتنمية دراسة في علم الاجتماع السياسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص213

[17] - بوتومور : الصفوة والمجتمع دراسة في علم الاجتماع السياسي، (تر) محمد الجوهري وآخرون، ط2، دار المعارف، مصر، 1972، ص 123

[18] - نور الدين زمام : المرجع السابق، ص 230

[19] - Michel Martin : la militarisation des système politiques africains «1960 - 1972», éditions Naiman de Sherbrooke, Canada, 1976, P11.

[20] - صفة أو ميزة غير عادية تتحقق لدى الفرد الزعيم الذي يتحلى بصفات نادرة، وقدرات بطولية، ومن أجله يضحي بكل شيء، وتعتمد القيادة على الإلهام والقدسية أكثر منها على القانون الرسمي، ويخص بقبول كبير لدى الجماهير. ينظر أحمد زكي بدوي، المرجع السابق، ص 57.

[21] - محمد السويدي : المرجع السابق، ص 75.

[22] - خليل أحمد خليل : العرب والقيادة بحث اجتماعي في معنى السلطة، ودور القائد دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 135.

[23] - بيير بورديو : الرمز والسلطة (تر) عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، ط3، 2007، المغرب، ص : 55، 56

[24] - سعد بشار : النخبة والأيديولوجيا والحداثة، دار الهدى للطباعة والنشر ط1 بيروت، لبنان، 2005، ص 12.

[25] - علي محمد علي : المرجع السابق، ص 91.

[26] - نور الدين زمام : المرجع السابق، ص 220.

[27] - ثروت مكي : النخبة السياسية والتغير الاجتماعي تجربة مصر من 1956 - 1967، عالم الكتاب، مصر، 2003، ص43. وكذا بوتومور : المرجع السابق، ص94 - 95

[28] - علي الدين هلال ونيفين مسعد : النظم السياسية العربية وقضايا الإستمرار والتغير، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2000، ص: 164، 165

[29]- عمار حمداني : حقيقة غزو الجزائر (تر) لحسن زغدار، مطبعة ثالة، الجزائر ص ص01 - 133.

[30] - ينظر أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث "بداية الاحتلال" الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص35، 36 وكذا جمال قنان : دراسات في المقاومة والاستعمار، المتحف الوطني للمجاهد، ص 34.

[31] - ينظر أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص36 ويذكر عمار حمداني أن ابراهيم الآغا : وهو صهر الداي حسني كان تحت إمرته 7000 رجل مكونين، ويشكلون الميكيشيا العثمانية، وما بقى منهم حوالي 40 ألف من المتطوعين جاءو من منطقة القبائل وقسنطينة ووهران. ينظر أيضا جمال قنان : المرجع السابق، ص37.

[32] - المرجع نفسه، ص 42

[33]- عمار حمداني : المرجع السابق، ص ص : 229 - 275

[34] - أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص 5 - 6.

[35] - هل يمكن إطلاق عمل الأعيان والعرائض التي كانت تقدم إلى السلطة الفرنسية، وأعمال المقاومة المنجزة من طرف الثوريين

الـريفيين، ورواد المقاومـات الشـعبية، أمـا أنـه تعـبير لم يأخـذ شـكله النهـائي بالنسـبة للحركـة الوطنيـة الجزائريـة إلا في عشـرينيات القـرن العشرين، إنه الضمير الوطني الجزائـري الـذي تولـد في السـنوات الأولى للاحتلال على شكل تيارات سياسية سماها أبو القاسم مجازا أحزابا.

ينظـر : أبـو القاسـم سـعد اللّه : الحركـة الوطنيـة الجزائريـة. ج1، م1، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط6، الجزائر. 2009، ص 102 - 103.

[36] - أبو القاسم سعد اللّه : محاضرات، المرجع السابق، ص 65.

[37] - عبـد النـور خيثـر وآخـرون : أسـس ومنطلقـات الحركـة الوطنيـة الجزائرية 1830 - 1954، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات م. ح. و. ث 1954/11/01 الجزائر، 2007، ص 216

[38] - أبو القاسم سعد اللّه : الحركة الوطنية. المرجع السابق، ص 103.

[39] - أبو القاسم سعد اللّه : محاضرات، المرجع السابق، ص 67.

[40] - حميـدة عمـيراوي : دور حمـدان خوجـة في تطـور القضـية الجزائريـة "1827 - 1840" مبحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف دار توفيق برو، دائرة التاريخ، جامعة قسنطينة، 1982/1983، ص30، 31

[41] - عبد الجليل التميمي : بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي 1816 - 1871"، ط1، دار التونسية للنشر، تونس، 1972، ص133.

[42] - العربي منور : تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19، طبـع ونشـر دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 191.

[43] - يرى د. ع القادر جغلول : أن هذا التاجر الثري والبالغ من الستين من عمره سـنة 1830 زواج بـين نفذيـه فكـره بمبـادئ الإسـلام وبمقـولات القـانون الطبقـي، وبمبـادئ ثـورة 1789 الفرنسـية لـذا جـاء عملـه في مسـتويات ثلاثـة : إقنـاع الفرنسـيين بـالجلاء عـن الجزائـر، وفـتح سـلوكات الجيش الاستعماري لـدى الـرأي العـام الفرنسـي، وإيصـال المشـكلة الجزائريـة وتدويلـها لتحقيـق الحكـم الـذاتي لآيلـة الجزائـر في حـل

الحكم العثماني - الإسلامي. ينظر : عبد القادر جغلول : الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر (تر) سليم قسطون ط1 دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1984، ص155.

[44] - عبد النور خيثر وآخرون : أسس ومنطلقات المرجع السابق، ص 219.

[45] - أبو القاسم سعد الله محاضرات، المرجع السابق، ص 80.

[46] - حميدة عميراوي : المرجع السابق، ص 81.

[47] - عبد القادر جغلول : المرجع السابق، ص 155.

[48] - أبو القاسم سعد الله : محاضرات، المرجع السابق، ص 81.

[49] - عبد الجليل التميمي : المرجع السابق، ص ص: 148 - 160

[50] - إن التدقيق في قراءة "المرآة" بالعربية وبالأصل التركي "لمحة تاريخية حول وصاية الجزائر" يستنبط كما يرى د عبد القادر جغلول فائدة مزدوجة : فهو من الشواهد النادرة للمجتمع الجزائري في العهد الأول للاحتلال وبقلم جزائري، وتقديم حمدان كشاهد شجاع لأوصاف التنظيم الاجتماعي القبلي للجزائر، كالعرش والخماسة وغيرها من المفاهيم لجزائر قبل الاحتلال وأثناء الإحتكاك الأول مع الاحتلال، كما أن المراءة ليست نظرية مجردة بل إقرار لواقع جديد سليط وتعيس على الجزائريين من طرف جيش الاحتلال، ووفق في تعرية الطابع المخادع للأيديولوجيا المحضرة لاستعمار انطلاقا من الليبرالية الأوربية ينظر : ع القادر جغلول.

[51] - بل هي لجنة حاضر ومستقبل لتثبيت أركان الاستعمار الفرنسي بالجزائر. المرجع السابق، ص : 154، 155.

[52] - حميدة عميراوي : المرجع السابق، ص ص : 104 - 108

[53] - أبو القاسم سعد الله : محاضرات، المرجع السابق، ص ص : 12 - 130.

[54] - أبو القاسم سعد الله : الرجع نفسه، ص 124.

[55] - حميدة عميراوي : المرجع السابق، ص ص 43 44.

[56] - عبد المجيد بن نعيمة وآخرون : موسوعة اعلام الجزائر 1830 - 1954، ج1، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، م، م. و. د والبحث في ح. وو1/11/1994، 2007 الجزائر، ص 264.

[57] - أبو القاسم سعد الله : الخركة الوطنية، المربع السابق، ص 109

[58] - عبد المجيد بن نعيمة وآخرون : المرجع السابق، ص 266، 267.

[59] - أبو القاسم سعد الله : محاضرات، المرجع السابق، ص 74.

[60] - أبو القاسم سعد الله : نفسه ص 74، 75.

[61] - عبد المجيد بن نعيمة : المرجع السابق، ص 266.

[62] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، المربع السابق، ص 110، 111

[63] - أبو القاسم سعد الله : محاضرات، المربع السابق، ص 76.

[64] - عبد النور خيثر وآخرون : المرجع السابق، ص 224.

[65] - عبد النور خيثر وآخرون : المرجع السابق، ص 224.

[66] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص107

[67] - أبو القاسم سعد الله : محاضرات، المرجع السابق، ص77.

[68] - عبد النور خيثر وآخرون : المرجع السابق، ص 224

[69] - عبد النور خيثر وآخرون : المرجع السابق، ص 225.

[70] - حميدة عميراوي : المرجع السابق، ص 114.

[71] - عبد النور خيثر وآخرون : المرجع السابق ص 226.

[72] - أبو القاسم سعد الله : المحاضرات، المرجع السابق، ص 69، 70.

[73] - نفسه ص 70

[74] - نفسه ص 72، 73

[75] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص119

[76] - أبو القاسم سعد الله : محاضرات، المرجع السابق، ص86، 87

[77] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 125، 126

[78] - نفسه، ص 127.

[79] - إسماعيل العربي : "حكومة الأمير عبد القادر إدارتها ومهامها"، مجلة الثقافة عدد خاص رقم 75 وزارة الثقافة، الجزائر، جوان 1983، ص 220، وكذا عمار بوحوش : التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار البصائر، الجزائر، الجزائر 2008، ص 110، 111

[80] - محفوظ قداش : الأمير عبد القادر، وزارة الإعلام، الجزائر، 1982، ص ص : 23 - 37

[81] - أ. ف دينيزون : الأمير ع القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، (تروتقديم) أبو العيد دودو، دار هومة للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2003، ص 128

[82] - بديعة الحسني الجزائري : الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف ط2، دار المعرفة، الجزائر 2008، ص ص : 28 - 45

[83] - تتفق معظم روايات القادة الفرنسيين الذين عرفوا الأمير عن كثب أنه كان يعمل على بعث "القومية العربية"، غير أن خبرات فرنسا وقعت بالمرصاد لتعطيل بناء هذا المشروع، فتشرشل هنري شارلز صاحب كتاب حياة الأمير ع القادر يعلق على هذه الفكرة بقوله : "إن فكرة القومية العربية فكرة بسيطة وعظيمة، ولكنها أيقظت ردّ فعل إيجابي بلمسة المقاومة كمشروع حداثي. . . ، لا يمكن أن تتأثر الطائر أثناء طيرانه السريع، وبمقدار مقاومته لاجتياح الفرنسي عمل الأمير على تحديث وتجديد الإدارة والجيش والحياة الصناعية، والحياة التعليمية". ينظر : تشرشل هنري تشارشل : حياة الأمير عبد القادر (ترجمة وتقديم

وتعليق) أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة والنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2009، ص ص : 9 - 12.

[84] - أبو القاسم سعد الله : محاضرات، المربع السابق، ص 134.

[85] - يشير العربي منور في أحد أحكامه القاسية على الحاج أحمد باي بقوله : "صحيح أنه يكره الأجانب ولكن هو الآخر أجنبي عن الجزائر، . . . وذهب به الغرور وحب الذات إلى الإستحواذ على أزارق الجزائريين إلى درجة السلطان سلطان الجزائر. . ، وبحبه وتعلقه بمدينة قسنطينة ودفاعه عنها وعن أهله ونماية لثروته التي جمعها على أكتاف العرب" ينظر منور الغربي : المرجع السابق، ص ص : 166 - 168

[86] - أبو القاسم سعد الله : ينظر منور العربي : المرجع السابق، ص ص : 166 - 168.

[87] - منور العربي، المرجع نفسه، ص 166

[88] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية، ص 142، بيروت، 2005، ص 351، 352.

[89] - أبو القاسم سعد الله : محاضرات المرجع السابق، ص 140 - 141

[90] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 156، 157، وكذا عمار بوحوش : المرجع السابق، ص 116، 117.

[91] - ينظر أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية، المرجع السابق، وكذا المجلد الثاني من الجزء الأول، وجمال قنان المرجع السابق.

[92] - خيثر عبد النور وآخرون : المرجع السابق، ص 238.

[93] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية، ج2 المرجع السابق، ص145، 146

[94] - جيلالي صاري : بروز النخبة المثقفة الجزائرية "1850 - 1950" (تر)، عمر المعراجي منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص ص : 29 - 65

[95] - شارل رويرآجرون 18 : الجزائريون المسلمون وفي فرنسا 1871 - 1919، ج2، دار الرائد للكتاب الجزائر، ص 704.

[96] - علي مرّاد الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925 - 1940، (تر) محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، ص53

[97] - أبو القاسم سعد الله، : الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق، ص 162

[98] - ينظر : أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق ص 165، 167. وكذا أجرون، المرجع السابق، ص 705 - 706

[99] - علي مراد : المرجع السابق، ص 56.

[100] - أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه، ص 170.

[101] - عبد الرحمن شيبان : من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر 2008، ص ص : 15 - 27

[102] - محمد الميلي : المؤتمر الإسلامي الجزائري، دار هومة للطبع والنشر والتوزيع، 2007، الجزائر، ص 427.

[103] - جمال قنان : دراسات في المقاومة والإستعمار، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1998 ص 114.

[104] - عبد النور خيثر وآخرون : المرجع السابق، ص 263.

[105] - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين : سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، 2009، الجزائر، ص 59.

[106] - جمعية العلماء الجزائريين : المرجع السابق، ص ص : 61 - 65

[107] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية، ج2 ص 341

[108] - ع. النور خيثر وآخرون : المرجع السابق، ص 271.

[109] - يوسف مناصرية : الأتجاه الثوري في الحركة الوطنية بين الحربين العالميتين 1919 - 1939 (د. ط) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 52.

[110] - الجيلالي صاري، محفوظ قداش : المقاومة السياسية (1900 - 1954) الطريق الإصلاحي والطريق الثوري (تر) ع القادر بن حراج، (د. ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987، ص 23.

[111] - نفسه، ص 19.

[112] - افتتح هذه الزيارة إلى بلدان المغرب العربي الثلاثة في أفريل 1922 بزيارة المغرب الأقصى ثم مدن الغرب الجزائري وصولا إلى العاصمة التي ألقى فيها خطابا بجامع س عبد الرحمن الثعالبي بحضور أعضاء من الحكومة العامة والنواب الماليين، ينظر، يوسف مناصرية : المرجع السابق، ص 67.

[113] - المرجع نفسه، ص : 55، 56

[114] - شكلت الحكومة الفرنسية وفدا ضم ابن التهامي، وبن شنوف، محي الدين زروق، وانتقل إلى باريس للمطالبة بتوقيف الأمير، ينظر مصطفى الهشماوي : جذور أول نوفمبر في الجزائر، (د. ط)، دار هومة للنشر، الجزائر، (د، ت) ص 40

[115] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق، ص128

[116] - المرجع نفسه، ص 334.

[117] - للإطلاع على مضمون هذه المحاضرات ومختلف العرائض المطلبية للأمير خالد يمكن الرجوع إلى رسالته الموجهة للرئيس الأمريكي ويلسون، ينظر الأمير خالد : رسالة إلى الرئيس ويلسن ونصوص أخرى (تر) محمد المغاربي، (د. ط) منشورات ANEP، الجزائر 2006، ص ص : 14- 28.

[118] - علال الفارسي : الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط6، مؤسسة علال الفارسي، الدار البيضاء، 2003، ص 13.

[119] - عمار بوحوش : المرجع السابق، ص 183.

[120] - محمد قنانش : المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945، (د ط)، منشورات دحلب، الجزائر، 1990، ص 25.

[121] - Mohamed Guenaneche : Le Mouvement l'indépendance en Algérie en autre les deux Guerres «1919 - 1939» (SED) office nationale des publication Universitaires, Alger, 1990 ; p 34

[122] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق، ص 378، 379.

[123] - عبد النور خيثر وآخرون : المرجع السابق، ص 254.

[124] - أحمد الخطيب : حزب الشعب الجزائري، (د. ط) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ج1، ص 219.

[125] - رفض حزب الشعب الجزائري سياسة الاندماج وربط الجزائر بفرنسا كما عارضها ن. ش. إ قبله، استنادا إلى أن القوة البشرية التي يمثلها المجتمع الجزائري مع وحدة لغته ودينه وماضيه المشترك لا يمكن أن ندمج أو تذوب، فمن كيان آخر بأي شكل من الأشكال قانونيا أو سياسيا أو تاريخيا، . ينظر أحمد مهساس : الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، (تر) الحاج مسعود، محمد عباس، (د. ط) منشورات الذكرى الأربعون لاستقلال، الجزائر، 2002، ص 128.

[126] - تعني كلمة الإنفصال في تلك الفترة وتزامنها وقيام حكومة الجبهة الشعبية بفرنسا الوقوف بجانب إيطاليا ولذا أكد ح. ش. ج على نفسها، وتبني فكرة التحالف مع فرنسا فالجزائر الحرة إداريا وسياسيا واقتصاديا في شؤونها الداخلية، يمكن أن تصبح صديقة وحليفة لفرنسا بغرض الحفاظ على أمنها وضمان مصالحها، وتبادل المنافع الاقتصادية مع غيرها على غرار ما هو قائم بين فرنسا وسوريا، وبين مصر وبريطانيا. ينظر : محمد

ققنانش : الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين، المرجع السابق، ص 84، والصادق بخوش : الفكر السياسي لثورة التحرير الجزائرية. مقاربة في دراسة الحلفين - (د. ط)، دارغرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 84.

[127] - أستبدل لفظ الاستقلال بلفظ التحرير الوطني لعدة اعتبارات أولتها إدارة ومسؤولي ح. ش. ج أهمية كبيرة، فكلمة الاستقلال لم يرقى إلى مستوى ملائم لتجسيده واقعيا، وهو ما أجبرها على استعمال بعض المرونة في الألفاظ لتبسيط المفاهيم، وتضليل الإدارة الفرنسية لتحقيق من وطأة القمع. ينظر : محمد عباس : رواد الوطنية (شهادات 28 شخصية وطنية)، (د. ط)، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 28.

[128] - الصادق بخوش : المرجع السابق، ص : 82، 83.

[129] - أحمد مهساس : المرجع السابق، ص : 82، 83.

[130] - محمد العربي الزبيري : "الحركة الوطنية الجزائرية في مرحلة النضج 1942 - 1954" مجلة الرؤية، العدد 1، جانفي، فيفري، الجزائر، 1996، ص 63.